درنة

السنة الأولى **العدد الثالث** | نوفمبر 2023م، ربيع ثاني1445 هـ

مجلة فصلية: شرعية، ثقافية، علمية، اجتماعية
تصدر عن إدارة البحوث والاستشارات بمركز الشيخ علي الغرياني للكتاب

05 أحداث درنــة ... الغموض وعدم الشفافية

09 العبور من وادي درنة

15 الـوادي بـــــرئ والجناة طُلقـــاء

31 درنـــــة: بين المحنة والمنحة

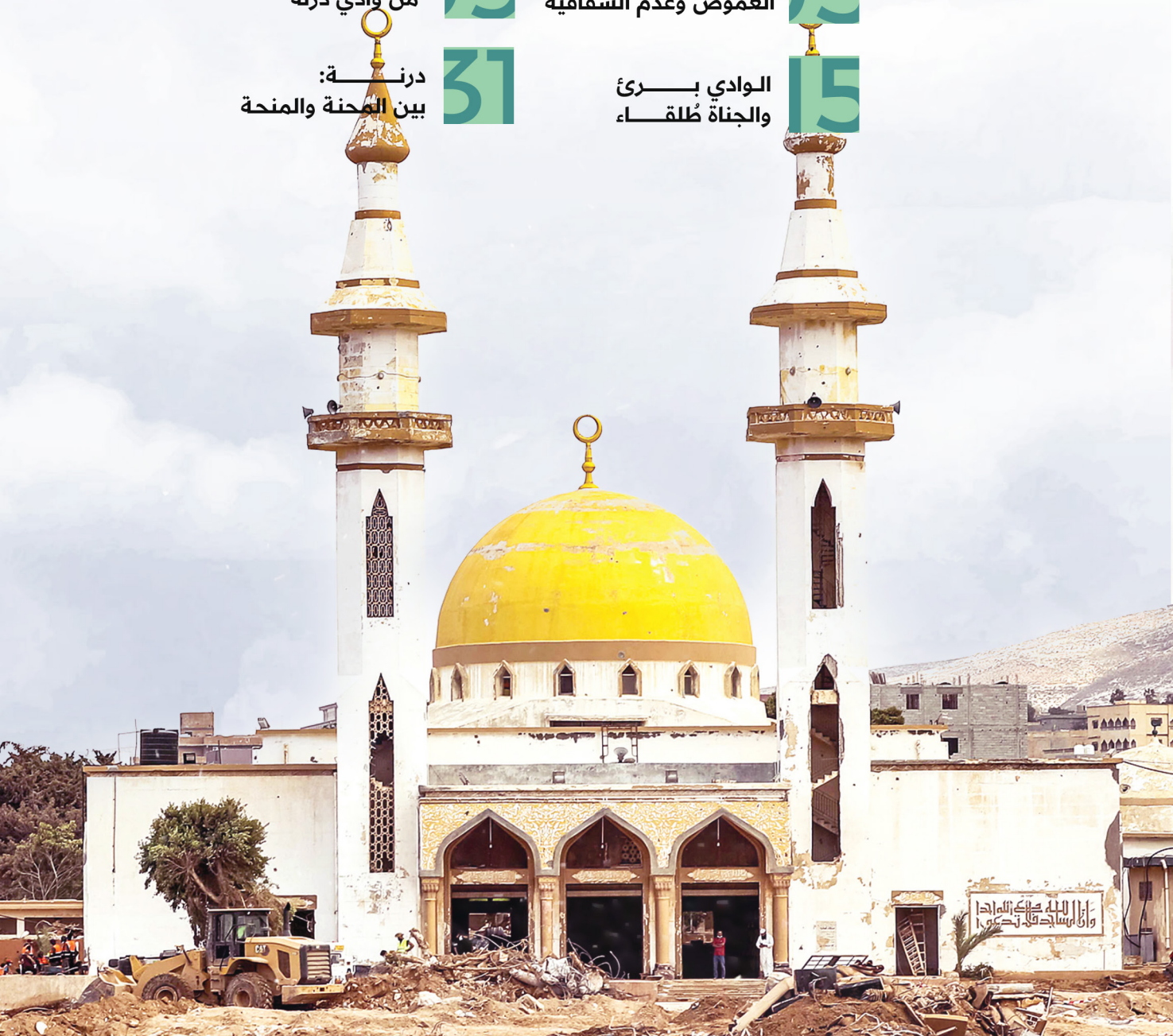

فهرس

أحداث درنــة ... الغموضوعدم الشفافية	08 - 05
العبور من وادي درنة	14 - 09
الوادي برئ والجناة طلقاء	18 - 15
ما وراء الكارثة	22 - 19
درنــة.. أوتــاد الكارثــة تفجــع الأهالــي	26 - 23
مأساة درنة الكاشفة	30 - 27
درنة: بين المنحة والمحنة	34 - 31
نداءات لم يُصغ إليها	38 - 35

مشعـــــل

مجلـة فصلية: شـرعية، ثقافية، علميـة، اجتماعية

تصـــدر عـــن إدارة البحـــوث والاستشـارات بمركـــز الشيـخ علي الغرياني للكتاب

مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب
Sheikh Ali Alghiryani Book Center

تاجوراء، قرب كوبري الشاحنات، بجوار مدرسة قلعة العلم

@ Shabcenter

00218 91 024 0866

info@shabcenter.ly

كلمة افتتاحية

لم يمر على ليبيا كارثة مثل إعصار دانيال الذي ضرب منطقة الجبل الأخضر وخاصّة مدينة درنة، قلب الإعصار وبؤرته؛ فتحول واديها وما يمثله من ممرّ مائي لكل ما يتجمع من أمطار إلى كابوس في ليل مظلم، لم تشهد له البلاد مثيلا، فقد جمع الإعصار بما حمله من مياه البحر، مع سقوط الأمطار الغزيرة في تلك الليلة- كمية من المياه بلغت قمم الجبال، وتجاوزت الحد الذي يمكن أن يتحمله سدّا الوادي؛ فانهدّ السدّ الكبير «أبومنصور»، وتبعه الصغير «سدّ وادي درنة»؛ فجرف الطوفان كلّ ما في طريقه من عمارات، وبيوت، بل أحياء بأكملها، اجتثّها من أساسها، وقذف بها في قعر البحر، وما بقي طمره الطمي ومخلفات الوادي، وكانت الفاجعة؛ وفاة وفقدان ما بين أربعة آلاف إلى عشرين ألفا من أهل المدينة، وطمس آثار ربع خريطتها .. ومما زاد من وقع الفاجعة الفوضى والتسيب الذي وقع في إدارة هذه الكارثة قبل وبعد الطوفان.

وإن كان في المصائب والكوارث من بارقة أمل وشيء يُحتفى به، فهو ما كان من تكاتف الشعب الليبي، وإظهاره لمعاني الأخوّة والبذل والعطاء الذي يجزم من عايشه، وارتوى من معينه تلك الأيّام- أن هذا الشعب لا يحتاج إلا لقيادة رشيدة صادقة، تعمل لصالحه، وتحترم إرادته، فتجبر الكسر، وترقع الخرق، وتنهض بالأمّة من كبوتها، وستجد معها رجالا، لا يقف أمامهم إعصار ولا طوفان.

ولتوثيق هذا التاريخ، وتدوين بعض صفحاته؛ رأينا تخصيص هذا العدد من مجلتنا لهذه الفاجعة «طوفان درنة «؛ ليبقى ما خلّفه هذا الإعصار في ذاكرتنا وضميرنا.

ولم يمض على هذه الكارثة إلا أسابيع ـ ونحن في طور تجهيز هذا العدد- حتى فوجئنا كما فوجئ العالم أيضاً -بطوفان آخر، ولكنه هذه المرة من صنع المقاومة، وبنكهة النصر العزيز على العدوّ الصهيوني، مرّغت به أنفه في التراب، وأصابته في مقتل، ألا وهو طوفان الأقصى، نسأل الله عزّ وجلّ أن يكون فاتحة خير على الأمّة الإسلامية جمعاء، وبداية مسيرة تحرير المسجد الأقصى المبارك.

أحداث درنــة ... الغموض وعدم الشفافية

لفضيلة الشيخ الدكتور: الصادق الغرياني
مفتي عام ليبيا

كما هو المتوقع من كل حكم شمولي مستبد لا يخشى المحاسبة والعزل، انعدمت الشفافيةُ في التعامل مع الكارثة في درنة، لا يُعلم إلى حد الآن ما الذي ذهب من درنة؛ نصفها، ثلثها، ربعها! لا أحد يعلم! فليست هناك بيانات لها مصداقية صادرة عن إحصائيات واقعية، تُبث لوسائل الإعلام لحظة بلحظة، كما جرت العادة في كل البلاد عند حدوث الكوارث.

كان الذين يتولون الدفن في اليومين الأولين من الكارثة يعلنون عن إحصائيات من دفنوهم ساعة بساعة، لأنهم كانوا يتصرفون بعفوية، قبل أن تدخل قوات حفتر وتستلم زمام الأمور، ومن حين أن دخلت قواته درنة وُضعت وسائل الإعلام تحت السيطرة، فالأخبار حتى حول أعداد من يُقبرون على مدار الساعة صارت شحيحة، وغير موثوق بها.

عدم الشفافية جعل العالم لا يعرف شيئا عن الموتى ولا المفقودين ولا الجرحى ولا المشردين! هذا إذا استثنينا المائة والخمسة والأربعين مصريا، فإنهم سُلموا إلى أهليهم بإحصائيات صادقة وأعداد مضبوطة!

إعلان الأرقام على حقيقتها إن وُجدت يُخشى منه معرفة عِظَم الفضيحة التي يعيشها هذا النظام المستبد، والذي تبين من خلال اليوم الأول والثاني أنه لا يملك الحد الأدنى من المعدات التي يتبين منها اكتشافُ ما حدث، فضلا عن الطواقم وفرق الإنقاذ المدربة التي تكون عادة في المؤسسات العسكرية!

لكن للأسف هذه الفضائح وغيرها، وهي قليل من كثير، لا يُسمح بتناولها ولا بالكلام عنها، وكل القنوات التي سَمحوا لها بدخول درنة لا تنقل إلا ما

يشيد بإنجازات (الجيش والقيادة العامة) مجاملة، أو زورا.

ففي غياب الشفافية عليك أن تتوقع ما لا يخطر بالبال، وإلا فكيف يفهم المتابع الأوامر الأمنية التي صدرت ليلة الإعصار لأهل المدينة بحظر التجول وإلزامهم بالبقاء في البيوت وهم يعلمون أن هناك إعصارا قادما، مُحَذَّرا منه مسبقا، معروفا وقتُه.

ما حدث لا تعرف ماذا تسميه، لأنه على خلاف المعهود المعروف بين أمم الأرض!

إلزام الناس بالبقاء في البيوت في هذه الحالة معناه حبسهم صبرا للموت ليلقُوا حتفهم بصورة جماعية، فإن ما حصل بسبب هذه الأوامر، أن الطوفان ابتلع المدينة وأهلها بأملاكهم ومواشيهم وأشجارهم وأحجارهم، وأتى على بنيانهم من قواعدها، فرماهم جميعا في أعماق البحر.

فهل أحد من عبيد حفتر الذين هم اليوم في حكومته أو برلمانه ويقولون إن مهمتهم المحاسبة والمراقبة يستطيع أن يناقش أوامر حظر التجول في درنة وما ترتب عليها؟

لو فعل لاختفى من الوجود، ولا يقدر أحد من زملائه حتى أن يسأل عنه، لأن مثل هذا الكلام (ليس وقته ويثير الفتنة) فإن (القيادة العامة) منشغلة بقضية مصيرية كبرى في الوقت الحاضر، وهي تسليم درنة خالية من الشواغل والسكان للمصريين بعد القضاء على آخر أنفاسها، وكذلك لأن البرلمان ورئيسه منشغل في جلسة طارئة بالعشرة المليارات التي ينتظرونها بفارغ الصبر ليتولوا أمرها بهذه المناسبة.

ليس في توصيف ما حدث مِن كل مَن له مُسْكة من العقل سوى أنه قَتْلٌ عمد لآلاف كثيرة في ساعة واحدة ممن أمر به أو نفذه.

ثم بعد هذا، هل يصدق أحد في ظل هذه القبضة الحديدية المستكبرة الغاشمة، وبرلمان التزوير، أن تحصل التحقيقات التي يتكلم عنها النَّاسُ حول السد الذي انهار، أو عن مَنْع التجول، أو الغزو المصري بالمدرعات، التي سَمّت نفسها فرق إنقاذ!

إن هؤلاء العساكر الذين دخلوا على ليبيا بالمدرعات ليسوا المصريين الذين عرفناهم وعلمونا، وعرفنا فضلهم وخيرهم على ليبيا في غابر الأيام، بل هم عساكرُ سوءٍ يأتمرون بأمر الصهاينة وعملائهم في المنطقة، فهل يصح لأهل ليبيا السكوت بعد هذا عنهم وعما يطلبه عقيلة صالح من المليارات باسم إغاثة أهل درنة أو إعادة إعمارها؟!

تسليم الأموال إليهم جريمة لا تغتفر، ووِزْر لا يُحتمل!

هذا المشهد في درنة، يا أهل ليبيا والمنطقة الشرقية بصفة خاصة، إذا سكتم عنه يمكن أن يتكرر في المرج وبنغازي وطبرق والبيضاء، فتفنى كما أفني أهل درنة، وحينها ستقولون: (لقد أكلنا يوم أكل الثور الأبيض)!

إذا لم ينتفض النَّاس في ليبيا الآن ويقوموا قومة رجل واحد لمعرفة حقيقة ما وقع لأهل درنة، والانتصار لهم، فإنهم سيرون ما هو أشد في قابل الأيام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه).

العبور من وادي درنة

د.محمد خليل الزروق
أستاذ علوم القرآن وعلوم العربية في كلية العلوم الشرعية والإفتاء،
وعضو مجمع اللغة العربية

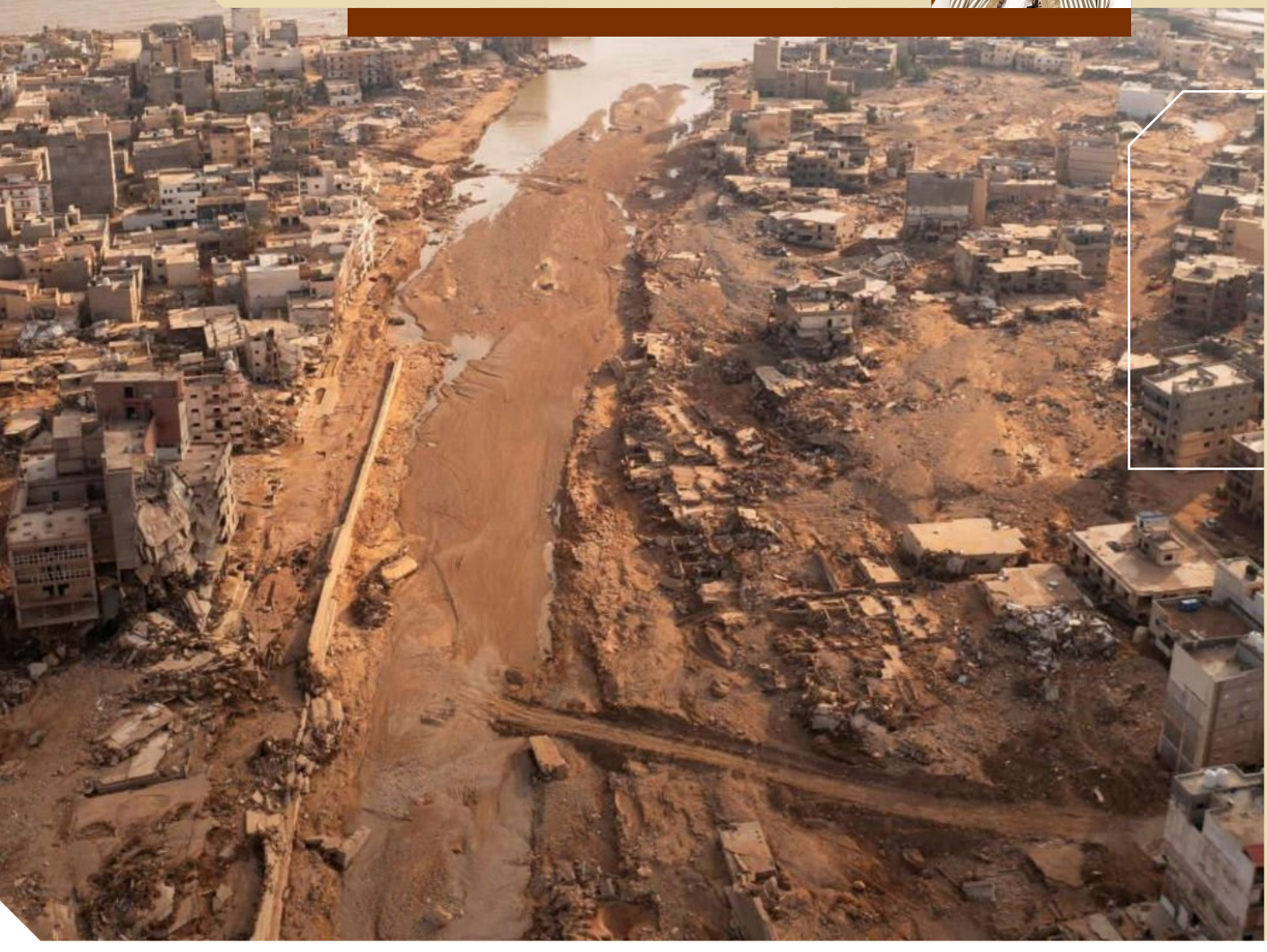

كأنه عَتَب عليَّ صديق أني لم أكتب شيئًا في شأن الكائنة التي نزلت بالجبل الأخضر ودرنة، فقلت له: إن المصيبة فوق الكلام، قد عقدت الألسنة، وأذهلت العقول، واختلط فيها المعزِّي بالمعزَّى، والمرثيُّ بالراثي، والمبكيُّ بالباكي، وكلنا ينتظر من يعزيه ويواسيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قد كثر في هذه الواقعة وغيرها اللغو وفضول القول، وما أحواجنا في أمثالها إلى الصمت إلا من ذكر الله والموعظة الحسنة، وإلا من كلمات الصبر والتسليم، وكل الناس يحفظ: «فليقل خيرًا أو ليصمت»، وقليل فاعله، حتى صار الكلام أكثر من العمل، وغرقنا في طوفان من اللغو، على هؤلاء القنوات والصفحات، وأطل علينا كل من يملك هاتفًا من الهواتف، وحسابًا على المواقع، وفرصة في القنوات، ببيان ومحاضرة وخطبة، أقله حسن وسديد، وأكثره رديء وفيما لا يفيد. لا لوم على المظلوم أن يجهر بمظلمته، وأن يشتد في قوله، كما قال الله: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم﴾، بل واجب الناس جميعًا أن ينكروا المظالم، وأن يأخذوا أيدي الظالم.

إن مثل فاجعة درنة حَريَّة أن تنقلنا -أو تعبُر بنا- من اللغو واللغَط إلى الصمت وقول السداد. إن الصمت في الحوادث فرصة للاعتبار والاتعاظ، وبرهة للتفكر والتدبر، ولهدوء النفس من الضوضاء والضجيج، ولبعد القلب عن الاشتغال بالجدل والخصومات، وللاشتغال بواجب الوقت، وخاصة النفس. وذلك خلق منسي وفضيلة متروكة في أيام الناس هذه، إذ صار في مكنة كل إنسان أن يكون مؤسسة إعلامية تتحدث في كل حدث، وتشارك في كل شأن، وتجيب في كل سؤال، وتحكم في كل قضية. وقد حكوا أنه قال رجل لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيتَ الصمت، قال: فمتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام! والكلام شهوة تكُبُّ على المناخر، وتجر إلى المعاطب.

وكثيرًا ما يُشغل الناس بالمتصدِّر من القضايا، وبأجزاء منها، أو أوجه منها، بحسب ما ينساق إليه الجمهور في مواقع التواصل، وما تسايره به القنوات، وينسون وجوهًا أخرى من الحادثة، وأجزاء أخرى من القضية، فهذه كارثة الجبل كانت «درنة الزاهرة» «مرقد الصحابة» فاجعتها، وكان فيها أكثر آثارها إيلامًا، وأشدُّها وطئًا، وأبْيَنُها بلاء، إذ أخذ السيل نحو ثلث المدينة، وهو قلبها الحي، وحيُّها العتيق، فجرف أحياء برمتها، ومساكن وعمارات بأهلها، وذهب بأُسَر فلم يبق منها أحدًا، أو لم يبق إلا قليلًا ممن كتب الله له النجاة، ورمى أناسًا في البحر، بعضهم في سياراتهم، أو دفنهم تحت الطين أو تحت ركام المباني، فارتقى الآلاف شهداء -نحسبهم- والذين بقوا أحياء عانوا آلام الفقد، وهول المصيبة، ثم عانوا البحث عن الأحبة، والقيام بشئونهم من التغسيل والدفن، على كثرة الموت، وغياب المعين، في أوائل الساعات، ثم تقطُّع السبل، وتهدم البيوت، وقلة المئونة، وتلوث الماء، وانقطاع الاتصال والكهرباء. وكل ذلك كاد يُنسي أخوات درنة من مجاوراتها، كالبيضاء والبياضة وسوسة والوردية وقندولة، ففي كل مدينة أو قرية في الجبل مصاب في الأنفس أو الأموال من جراء السيول، وأناس يتلهفون إلى إغاثة، أو يفتقرون إلى معونة، أو يتطلعون إلى مواساة.

وقد استخرجتْ هذه الكائنة معاني الإيمان ودفائن اليقين من قلوب أهلنا، وأجرت على ألسنتهم كلمات التسليم وعبارات الرضى بقضاء الله، فلم أسمع من المصابين في أهليهم وأقربائهم وأصدقائهم وأرزاقهم إلا قولهم: «لا نقول إلا ما يرضي ربنا»، وقولهم: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وقولهم: «الحمد لله»، بل المَشاهد التي نَقلت شيئًا من وقائع الحادثة في ظلمة الليل، وهجوم السيل، وشدة المحنة، واقتراب الموت، لم يُسمع فيها إلا التكبير والتشهُّد والدعاء، وأنهم يذكِّر بعضهم بعضًا، ويوصي بعضهم بعضًا بذكر الله ودعائه واللجوء إليه. وكذلك المحن تستخرج ما في القلوب من معاني الإيمان، وتظهر حقائق الفطرة، وما أسعد الذي كان ذاكرًا داعيًا في حال الرخاء والسعة! وفي الحديث: «تَعَرَّفْ إليه في الرخاء يعرفك في الشدة».

وسمعت بعض الناس ينكر نسبة الحادثة إلى الله، ويقول: إن الله لا يكرهكم حتى يفعل بكم ذلك، فهو خطأ بشري! وهذا من الجهل بضروريات الدين، فإن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، فكل ما كان ويكون بعلمه وإذنه تعالى من خير أو شر، كما قال: ﴿قل كلٌّ من عند الله﴾، وقال في المصائب خاصة: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم﴾، وانظر إلى قوله: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾، وهو ما يُنزله الله على قلب المؤمن من الرضى والتسليم والبصيرة في معاني الأقدار، وقال: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾، فأخبرنا أن تعليمنا ذلك يدفع عنا انفعال النفس البالغ بالحزن أو الفرح.

ثم هو مع ذلك أرحم الراحمين، بل أرحم بالناس من أنفسهم ومن آبائهم وأمهاتهم، وقد أخبرنا في كتابه بما يحب وما لا يحب، فهو لا يحب المعتدين، ولا يحب الكافرين، ولا يحب الظالمين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المسرفين، ولا يحب الخائنين، ولا يحب المستكبرين، ولا يحب الفرحين، ولا يحب الفساد، ولا يحب كل كفار أثيم، ولا يحب من كان مختالًا فخورًا، ولا يحب من كان خوانًا أثيمًا، ولا يحب كل خوان كفور، ويحب المحسنين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب المتقين، ويحب الصابرين، ويحب المتوكلين، ويحب المقسطين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص، ويحب الذين يتبعون رسوله ﷺ، وأخبرنا أنه يعاقب ويعذب في الدنيا والآخرة، وقال لنا: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرًا عليمًا﴾، فأخبرنا بما يصرف العذاب عنا، وذلك أن نؤمن به، ونشكر له.

إن أمثال هذه المحن تعرِّف الإنسان قدره، وتريه ضعفه، فهو هذا الضعيف الذي تغلبه الريح، ويغرقه الماء، ويقتله الداء، وإن غرَّته القوة بالنفس أو المال أو العلم أو الجمع، وتعرِّفه قدر الدنيا التي يغتربها ويطمئن بها، وتكون كل همه، ومبلغ علمه، فتأتي الحوادث فتعرِّفه هوانها وغرورها، وتريه زوالها واضمحلالها، وتعلِّمه أنها مخلوقة لتكون ممرًّا إلى دار أخرى، ومقدمة لحياة الخلود، ومزرعة لحصاد العمل.

ولا يخفى على الخبير بنصوص الشرع أن البلاء ينزل بالطائع والعاصي، وبالمؤمن والكافر، وأن الله يبلو بالخير والشر، وكثيرًا ما تلا الناس في هذه المحنة: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾، وهي الآيات التي مدحت الصابرين ووصفتهم بالمهتدين، وذكرت قولهم في المصائب، فلقَّنت هذا القول للمؤمنين، وبشَّرت بجزائهم، وهو الصلوات من الله والرحمة، وأعظِمْ به من جزاء! وهي آيات في خطاب المؤمنين، وسبقتها آيات الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة، والنهي عن أن نقول للشهداء: أموات.

وعلَّمنا رسولنا ﷺ أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وأن ما يصيب المؤمن من نصَب ولا همٍّ ولا حزن إلا كفَّر الله به خطيئاته، حتى الشوكةُ يشاكها، وأنه لا يزال البلاء بالمؤمن في جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، وأنه من يرد الله به خيرًا يصب منه، أي بالبلاء، وأنه إذا أحب الله قومًا ابتلاهم، وأن أمر المؤمن كلَّه خير، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له، وأن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وفي الحديث القدسي في البخاري: «ما لعبدي المؤمن جزاءٌ إذا قبضت صَفِيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»، وفي حديث الصحيحين، وهذا اللفظ لمسلم: «مثَل المؤمن كمثَل الزرع لا تزال الريح تُميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثَل المنافق كمثل شجرة الأَرْز، لا تهتز حتى تَسْتَحْصِد».

ولذلك يجب أن نفهم أن للبلاء وجوهًا كثيرة، ويصيب ألوانًا من الناس في الواقعة الواحدة، فيكون تكفيرًا للذنب، ورفعة لقوم، وعقوبة ونكالًا لقوم، وتخويفًا لقوم، وعبرة لقوم، ويكون له ما بعده من آثار، وهلم جرًّا، فليس للقدر وجه واحد، ولا يُستطاع الإحاطة بحكمة الله فيما قضى وقدَّر، وليس للمؤمن إلا التسليم والرضى، وإلا الإيقان بحكمة الله وعدله ورحمته وفضله، وفي حديث عائشة رضي الله عنها في البخاري أنها سألت الرسول ﷺ عن الطاعون فأخبرها «أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد»، فأخبر أنه عذاب ورحمة في آن واحد، وأن الموت به مع الصبر والاحتساب شهادة للمؤمن، وفي حديث الصحيحين: «الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرِق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله».

وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وإذا التمسنا هذا المعنى في القرآن الكريم وجدناه، فإنه ذكر في التعقيب على غزوة أُحُد أسبابًا شتى لما قدَّره الله على المسلمين في تلك الغزوة، فهو (1) مداولة للأيام بين الناس، وكذلك سُنَّته سبحانه وتعالى في الأمم والأقوام (2) وهو تحقيق للإيمان في الواقع، كما رأينا في محنة درنة (3) وهو اتخاذ للشهداء يصطفيهم الله بعلمه ورحمته، كذلك (4) وتمحيص للمؤمنين، أي تطهير، ومحق للكافرين، أي إذهاب لمن مات منهم واستئصال (5) وتحقيق للجهاد مع الصبر في الواقع من العمل لا بالتمني والقول (6) وإراءة للموت رأي العين، فقد كانوا يتمنون الشهادة، فأراهم الله أن الأمر في حال غيابه ليس هو في حال حضوره (7) وبيانٌ للمزية العظيمة لمكان الرسول ﷺ بينهم، عليهم أن يغتنموها (8) وأنه ميت وأنهم ميتون، فليَثبُتوا على الإيمان بعده مستمسكين بما كان عليه، وما علَّمهم وأوصاهم به (9) وأن ذلك سُنَّة الأنبياء وأتباعهم، فكثير منهم كان معه الرِّبِّيُّون، أي المنتسبون إلى ربهم سبحانه لا

إلى شيء غيره، يعملون بما أمر يرجون ما عنده، من الذين يصيبهم ما يصيبهم في سبيل الله فلا يَهِنُون ولا يضعفون ولا يستكينون، ولا يجري على ألسنتهم إلا أن يسألوا الله المغفرة والثبات والنصر (10) وإظهار لجهات الضعف فيهم إذ فشلوا وتنازعوا وعصوا، وأراد بعضهم الدنيا (11) وتدريب لهم على ألا يحزنوا على ما فاتهم ولا ما أصابهم (12) وإظهار للمنافقين وأخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم، من الذين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، ويُخفون في أنفسهم ما لا يبدون (13) وتعليم لهم أن المعاصي تُزِلُّ الأقدام، وتُقْدِر عليهم الشيطان (14) وأن ما أصابهم كان من عند أنفسهم (15) وأنه تمييز للخبيث من الطيب في الناس والنيات والأفعال والأقوال.

فانظر إلى هذه المعاني المحتشدة في بلاء غزوة أحد ساقها القرآن سياقًا واحدًا بيانًا وهدًى وموعظة، وتعليمًا لسنة الله في الأقوام، وانظرها في محنة درنة والجبل فستجد أكثرها، واتل إن شئت الآيات من سورة آل عمران، من قوله: ﴿قد خلت من قبلكم سُنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. هذا بيان للناس وهدًى وموعظة للمتقين. ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾، من ههنا إلى قوله في أواخر السورة: ﴿لتُبْلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم﴾، وذلك نحو خمسين آية عقَّبت على هذا المصاب، ففصَّلت المعاني، وتتبعَتْ كل فعل، أو خطرة في النفس، أو قولة في السر، وكل حدث وحديث، وكل صنف من الناس، ففصَّلت ذلك تفصيلًا، وعلَّمته للمؤمنين تعليمًا، فسبحان من أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء! وقد عرض بعض الناس قطعة من صفحة من المصحف من آثار سيل درنة، فيها أول هذه الآيات التي ذكرتُ معانيها.

وإذا كان البلاء ينزل بالمؤمنين والطائعين، وإذا كان تكفيرًا وتطهيرًا للمؤمنين، فإن الله علمهم أن يلوموا أنفسهم، وأن كل ما يصيب الناس من سيئة إنما هو من عند أنفسهم، وهذا معنى شائع في القرآن مكرر في آياته، ففي هذه السورة: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾، قال هذا للصحابة، وفي السورة التي بعدها سورة النساء: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ قال هذا لرسوله ﷺ، فهو من النفس تسبيبًا، وهو من الله تقديرًا، لأنه قال قبل ذلك: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا﴾، وفي سورة الشورى: ﴿وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾، يُقرأ هكذا بلا فاء على الجملة الاسمية، وبالفاء: ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ على الجملة الشرطية، فالمصائب تتعلق بكسب الأيدي تعلق الخبر وتعلق الشرط، وتعلقُ الشرط أشد في ارتباط الأمرين، وفي سورة الروم: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾، فذكر حكمة سنته هذه، وهي إذاقة آثار

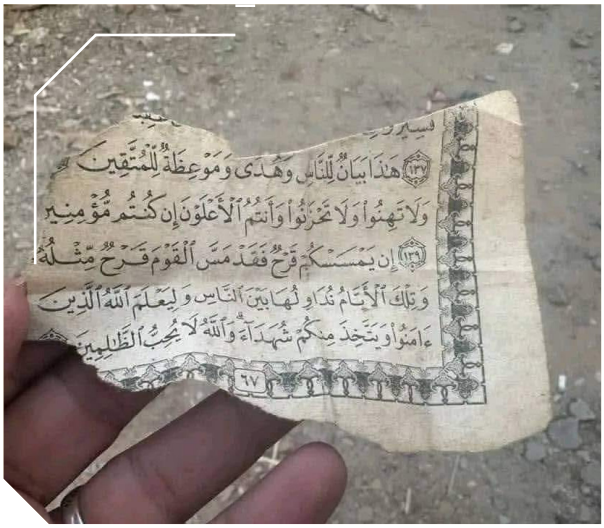

بعض العمل عسى أن يردهم ذلك إلى رشدهم، ويقلعوا عن معصية ربهم.

والآيات في هذا المعنى كثيرة: ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾، ﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾، ﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾، ﴿كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾، ﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾، وقال في شأن أصحاب الجنة الذين منعوا عطاءها وهم مؤمنون: ﴿كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾.

وهذا المعنى أيضًا شائع في القرآن، وهو أن الله يعذب في الدنيا قبل الآخرة، وهو أيضًا يثيب في الدنيا قبل الآخرة، نحو قوله في سورة المائدة: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾، وقوله في سورة الأعراف: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾، وقوله في سورة يونس: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم

عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾، وقوله في سورة هود: ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾، وقوله فيها على لسان هود: ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارًا ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾، وقوله في سورة إبراهيم: ﴿ وإذ تأذَّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾، وقوله في سورة النحل: ﴿ من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾، وقوله في سورة النور: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا ﴾، وقوله في سورة الجن: ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقًا ﴾.

فالمؤمن لوَّام لنفسه، رجَّاع عليها باللائمة والتقويم فيما يصيبه من شر وضر، ولذلك كانت النفس اللوامة ممدوحة، لأن في اللوم تقويمًا واستدراكًا وإصلاحًا، وقد قال آدم وزوجه: ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾، وقال يوسف: ﴿ وما أبرئ نفسي ﴾، وقال موسي: ﴿ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ﴾، وقال يونس: ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾، وقال سليمان: ﴿ رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾، وقال أيوب: ﴿ إني مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴾، وقال في شأن داود: ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعًا وأناب ﴾، وقال نبينا ﷺ في دعاء استفتاح الصلاة: «ظلمت نفسي واعترفت بذنبي»، كما في صحيح مسلم، وعلَّم صاحبه أبا بكر رضي الله عنه أن يقول في دعائه: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»، كما في الصحيحين. فهؤلاء الأنبياء والصديقون أزكى الناس وأتقاهم، يستغفرون من ذنوبهم، ويوقنون أن ما أصابهم إنما كان من عند أنفسهم.

وفي حديث الصحيحين أيضًا: «كان النبي ﷺ، إذا رأى مَخِيلة [سحابة يُخال فيها المطر] في السماء، أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سُرِّي عنه، فعرَّفته عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: ما أدري لعله كما قال قوم: ﴿ فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم ﴾»، يقول رسول الله ﷺ هذا خائفًا غير آمن من مكر الله، على أن الله تعالى قد قال له: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾، ولكنه خُلُقُه العظيم في التواضع وهضم النفس، والعلم بمقام العبد من مقام الرب، وأن حق ربنا سبحانه وتعالى فوق ما يعمل الناس، ويظن الناس.

وقد سمعتُ أحد الناجين من الكارثة في درنة -واسمه صلاح سالم سلطان- بعد أن شرح كيف أنجاه الله وأهله من الغرق في تسجيل على مواقع التواصل يقول: «نصيحة أعطيها لكل مسلم لوجه الله، والله رأينا العجب! [يقصد من رحمة الله]... اجتنبوا الكبائر، واجتنبوا الربا والزنا وقول الزور، والله ما نحن فيه سببه هذه الأمور، الربا والزنا والفواحش ما ظهر منها وما بطن».

وإذا كان البلاء ينزل بالمؤمنين والطائعين، وإذا كان تكفيرًا وتطهيرًا للمؤمنين، فإن الله علمهم أن يلوموا أنفسهم، وأن كل ما يصيب الناس من سيئة إنما هو من عند أنفسهم، وهذا معنى شائع في القرآن مكرر في آياته، ففي هذه السورة: ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ﴾، قال هذا للصحابة، وفي السورة التي بعدها سورة النساء: ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ قال هذا لرسوله ﷺ، فهو من النفس تسببًا، وهو من الله تقديرًا، لأنه قال قبل ذلك: ﴿ وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا ﴾، وفي سورة الشورى: ﴿ وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾، يُقرأ هكذا بلا فاء على الجملة الاسمية، وبالفاء: ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ على الجملة الشرطية، فالمصائب تتعلق بكسب الأيدي تعلق الخبر وتعلق الشرط، وتعلقُ الشرط أشد في ارتباط الأمرين، وفي سورة الروم: ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾، فذكر حكمة سنته هذه، وهي إذاقة آثار بعض العمل عسى أن يردهم ذلك إلى رشدهم، ويقلعوا عن معصية ربهم.

والآيات في هذا المعنى كثيرة: ﴿ فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ﴾، ﴿ وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾، ﴿ وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ﴾، ﴿ كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ﴾، ﴿ وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾، وقال في شأن أصحاب الجنة الذين منعوا عطاءها وهم مؤمنون: ﴿ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾.

وهـذا المعنى أيضًا شـائع في القـرآن، وهـو أن الله يعذب في الدنيـا قبل الآخـرة، وهو أيضًا يثيـب في الدنيا قبـل الآخرة، نحـو قولـه في سـورة المائـدة: ﴿ولـو أنهـم أقامـوا التوراة والإنجيل ومـا أنزل إليهـم من ربهـم لأكلوا مـن فوقهم ومن تحـت أرجلهـم﴾، وقوله في سـورة الأعـراف: ﴿ولـو أن أهل القـرى آمنـوا واتقـوا لفتحنـا عليهـم بـركات من السـماء والأرض﴾، وقولـه في سـورة يونـس: ﴿فلـولا كانـت قرية آمنـت فنفعها إيمانهـا إلا قوم يونس لما آمنوا كشـفنا عنهم عذاب الخزي في الحيـاة الدنيا ومتعناهـم إلى حين﴾، وقوله في سـورة هود: ﴿وأن اسـتغفروا ربكم ثم توبـوا إليه يمتعكم متاعًا حسـنًا إلى أجل مسـمى ويـؤت كل ذي فضل فضله﴾، وقولـه فيها على لسـان هـود: ﴿ويا قـوم اسـتغفروا ربكم ثـم توبـوا إليه يرسـل السـماء عليكـم مـدرارًا ويزدكم قوة إلى قوتكـم﴾، وقولـه في سـورة إبراهيـم: ﴿وإذ تـأذَّن ربكم لـئن شـكرتم لأزيدنكـم﴾، وقوله في سـورة النحـل: ﴿من عمـل صالحًا مـن ذكر أو أنـثى وهو مؤمـن فلنحيينـه حياة طيبـة﴾، وقولـه في سـورة النور: ﴿وعـد الله الذيـن آمنوا منكـم وعملـوا الصالحـات ليسـتخلفنهم في الأرض كمـا

اسـتخلف الذيـن مـن قبلهـم وليمكنن لهـم دينهـم الذي ارتـضى لهـم وليبدلنهم مـن بعد خوفهـم أمنًـا﴾، وقوله في سـورة الجن: ﴿وأن لو اسـتقاموا على الطريقة لأسـقيناهم مـاء غدقًا﴾.

فالمؤمـن لـوَّام لنفسـه، رجَّـاع عليهـا باللائمـة والتقويم فيمـا يصيبه من شـر وضر، ولذلـك كانت النفـس اللوامة ممدوحـة، لأن في اللـوم تقويمًـا واسـتدراكًا وإصلاحًا، وقد قـال آدم وزوجـه: ﴿ربنـا ظلمنـا أنفسـنا وإن لـم تغفر لنا وترحمنـا لنكونن مـن الخاسـرين﴾، وقال يوسـف: ﴿وما أبـرئ نفـسي﴾، وقـال مـوسي: ﴿رب إني ظلمـت نفـسي فاغفـر لي﴾، وقـال يونـس: ﴿لا إلـه إلا أنت سـبحانك إني كنت مـن الظالمين﴾، وقـال سـليمان: ﴿رب اغفر لي وهب لي ملـكًا لا ينبغـي لأحـد مـن بعـدي﴾، وقال أيـوب: ﴿إني مسـني الشـيطان بنصـب وعـذاب﴾، وقال في شـأن داود: ﴿وظـن داود أنما فتناه فاسـتغفر ربه وخر راكعًـا وأناب﴾، وقال نبينـا ﷺ في دعاء اسـتفتاح الصـلاة: «ظلمت نفسي واعترفـت بذنبي»، كمـا في صحيح مسـلم، وعلَّـم صاحبه أبـا بكر رضي الله عنـه أن يقول في دعائـه: «اللهم إني ظلمت نفـسي ظلمًـا كثـيرًا، ولا يغفـر الذنـوب إلا أنـت، فاغفر لي مغفـرة من عنـدك، وارحمـني إنك أنـت الغفـور الرحيم»، كمـا في الصحيحـين. فهـؤلاء الأنبيـاء والصديقـون أزكـى النـاس وأتقاهم، يسـتغفرون مـن ذنوبهم، ويوقنـون أن ما أصابهـم إنمـا كان من عند أنفسـهم.

وفي حديـث الصحيحـين أيضًـا: «كان النـبي ﷺ، إذا رأى مَخِيلة [سـحابة يُخـال فيها المطر] في السـماء، أقبـل وأدبر، ودخـل وخـرج، وتغـير وجهه، فـإذا أمطرت السـماء سُـرِّي عنـه، فعرَّفته عائشـة ذلك، فقـال النبي ﷺ: مـا أدري لعله كما قـال قوم: ﴿فلمـا رأوه عارضًـا مسـتقبل أوديتهم﴾»، يقـول رسـول الله ﷺ هـذا خائفًـا غـير آمن مـن مكر الله، علـى أن الله تعالى قـد قال له: ﴿ومـا كان الله ليعذبهم وأنت فيهـم﴾، ولكنه خُلُقُـه العظيم في التواضـع وهضم النفس، والعلم بمقـام العبد من مقـام الرب، وأن حق ربنا سـبحانه وتعالى فـوق ما يعمـل الناس، ويظـن الناس.

وقد سـمعتُ أحـد الناجين مـن الكارثة في درنة -واسـمه صلاح سـالم سـلطان- بعد أن شـرح كيف أنجاه الله وأهله من الغرق في تسـجيل على مواقـع التواصل يقول: «نصيحة أعطيها لكل مسـلم لوجـه الله، والله رأينـا العجب! [يقصد مـن رحمـة الله]... اجتنبـوا الكبائـر، واجتنبوا الربـا والزنا وقـول الـزور، والله ما نحـن فيه سـببه هـذه الأمـور، الربا والزنـا والفواحش مـا ظهر منها ومـا بطن».

الـوادي بـــــرئ والجناة طُلقـــــاء

عبد الفتاح الشلوي

في صبانا.. ما أن نسمع جريان السيل بوادي درنة، حتى نهب له بالفرح والترحاب، وعند زيارته الأولى ببواكير الشتاء، أو بآخر أيام الخريف، تكون فرحتنا أكبر، نحتفي به، ونستمتع بجريانه، ونتابع ما حمل من الزبد، وما طفى، نسعد بذلك ليومين أو ثلاثة، مدة جريانه، يحل النهر الأحمر بدرنة، فيطرب له أهالي البلدة عامة، وكأنه يوم المُولِدِ، يستمتعون بهذا الحدث، رغم أنه كان يشق عليهم، بأن يفصل درنة لشطرين طيلة أيام جريانه، قبل أن تقام عليه الجسور، وتضاف له، تلك الجسور التي تصل شقي المدينة، كنا نحظى بعطلة الوادي غير الرسمية، لأن ذهابنا لمدارسنا من خلال الالتفاف بغية العبور للضفة الأخرى يكون طويلاً، محفوفا بمخاطر أعمارنا وشقاوتنا، فتمسك عنا أمهاتنا حقائبنا المدرسية، حيطة وحذرا.

على مر تاريخ المدينة، فاض واديها عدة مرات، كان أوجعها بالعام 1959م، ويعرف بفيضان عيت بوبيضة، نسبة لارتفاع عدد المتوفين من هذه الأسرة، جراء تلك الحادثة، ويعرف أيضا بفيضان «صنب» الزيت، تلك الصخرة الكبيرة التي جرفها السيل من موقع السد الأول اليوم، وحط بها بمنتصف نحر الوادي، فسدت إحدى فتحات القوس الإيطالي الثلاث، صحيح أن مياهه لامست وسط المدينة، وجرت فيها، وهدمت الحواشي، لكن أغلب كمياتها مرت بشوارعها وأزقتها دون أن تدخل بيوتها بأطراف وسط المدينة، اللهم إلا الضفة الشرقية خاصة التي نالت من الهدم والدمار ما نالت.

توالى جريان الوادي عدة مرات، فكانت بالعام 1948م، والعام 1952م، و1959م و1964م، وبالعام 1986م، وبمطلع السبعينات قامت شركة يوغسلافية بتشييد سد البلاد، وسد بومنصور، الأول صغير سعته مليون ونصف مليون متر مكعب من المياه، وهذا السد يعتبر من مكونات المدينة المعمارية، ويشكل الطريق الرابط بين منطقتي باب شيحا، ومنطقة باب طبرق، والسد الثاني يبعد اثنا عشرة كيلومترا عن السد الأول، وسعته حوالي اثنين وعشرين مليون متر مكعب من المياه، وهنا أشير إلى أن الكميات المذكورة عن السدين هي تلك التي يحتجزهما حوضا السدين حتى تبدأ عملية التفريغ الذاتي عبر قمعي السدين، أو عبر التحكم بفتح قنوات التصريف السفلية، للسيطرة على كميات المياه المحجوزة، طبقا لسعة السدين، وقدرتهما الاستيعابية وفقا للضوابط الهندسية التي شيد على ضوئها المشروع، والذي منع فيضان الوادي، ووفر حماية لمدينة درنة وأهلها، وهنا نشير لمعلومة جديرة بالذكر، وهي أن طول وادي المدينة من البحر حتى سفوح الجبل الأخضر يبلغ 96 كلم طولي تقريبا، تصب فيه وديان صغيرة وشعاب، وعروق قد تصل أطوالها مجتمعة لأكثر من طول الوادي المذكور، يظن البعض أن فيضان الوادي يرتبط بكمية الامطار التي تهطل على درنة وتخومها، وهذا غير صحيح، ولا علاقة له بالأمر من بعيد ولا من قريب، وفي حقيقته يعود لتلك الكميات التي تهطل على البقعة المقدرة مساحتها بأكثر من خمسمائة كيلومتر مربع، وتصل لجنوب مدينة البيضاء بالجبل الأخضر (تبعد عن درنة 100 كيلومتر غربا) وما بين فترة الانتهاء من بناء السدين، وفيضان دانيال، حدثت عدة فيضانات محدودة الوقت والمساحة، خاصة بعامي 1982م، و1986م، لم تخلفا أي أضرار مادية أو بشرية، عدا الوحل بالشوارع، والمنقولات الطافيات التي تملأ الساحات المحاذية لمجرى الوادي.

في خريف العام 2011م هطلت أمطار غزيرة على الحوض المغذي للوادي، جنوب وجنوب شرق درنة، كانت كمية ما نزل من المياه حينها أقل من المئتي ملم، وهي الكمية المقدرة لسقوط الأمطار على الناحية، طيلة فترة الشتاء نتج عن ذلك أن امتلأ السدان، وفاض قمعا التصريف الانسيابيين، ومع ذلك كانت التغذية أكبر من عملية تصريف الفائض من المياه، حينها لاحت بوادر المخاطر، حتى أن المياه غمرت مؤشر المجس الذي يعلو القمع، وينذر بالمخاطر، وغمرته المياه طمرا في ذلك الوقت كانت السلطة بالمدينة أهلية توافقية نتاجا لسقوط حكم سبتمبر، والدولة مفككة اوصالها، ولا مجيب إلا الله، وكفى به وكيلا، كل ما كان أمامنا يبعث على الخوف، وينذر بالكوارث، والحل الوحيد أن تفلح جهود الخيرين

المتطوعين لفتح قناة التصريف السفلية، بهدف تخفيف الضغط على السدين، وهو أمر ليس بالإمكان تحقيقه بسهولة، فالبوابة لم تصن منذ سنين، والعوالق تحيط بالمكان، والسماء يصلها الماء بالأرض، وبفضل الله ومنته تمكن الرجال وفُتحت البوابة، فتحت بعزم وتوكل ودعاء ورجاء فانخفض منسوب المياه بالسدين، وعلا التكبير.

مضى على إنشاء السدين نصف قرن من الزمان، في ظل غياب ضوابط الأمن والسلامة، فخلال العقود الثلاثة السابقة، أُهمل السدان، فلا حراسة بشرية تقوم عليهما، ولا عدسات مراقبة، ولا إضاءة، وإن كان من شطح الخيال بد فأضيف، ولا مجسات صوتية أو فوق الصوتية، تكون مرتبطة بغرفة المتابعة، كما في العالم الآخر الذي يقدر حياة الإنسان.

قد يظن البعض أن ذلك صعب التحقق، أو أنها عملية صعبة، في الوقت الذي أصبح فيه المواطن يراقب بيته وهو خارج مدينته، بل وبلده، ومما يؤسف له، والجبين يندى، فقد كتبت على صفحتي الشخصية يوما أن صاحب مزرعة قمح بعلية راقب مداخلها بعدسات الكترونية عبر شبكة الانترنت، فكيف غاب هذا عن السلطة الفوقية في غرب وشرق البلاد وعن السلطة المحلية التي تبعد عن السدين بمرمى حجر.

لا حياة لمن تنادي

تلقت الجهات الرسمية تحذيرات عدة عن المخاوف الكامنة بإهمال صيانة السدين، وحذر أهل الدراية والاختصاص من ذلك، وطالبوا باتخاذ الإجراءات الكفيلة بإنعاش السدين، وإعادة شبابهما فقد بلغا من العمر عتيا، المهندس إبراهيم القاضي خبير سدود ومياه، خريج الولايات المتحدة الأمريكية، أشار لذلك بتقرير فني بالخصوص، وأستاذ الجيولوجيا بجامعة درنة جويدة بوبيضة، شاب رأسه وهو يكتب عن مخاطر عدم صيانة السد، وكذلك المهندس فتحي عجرود، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد أشارت شركة سويدية مختصة بإنشاء وصيانة السدود لضرورة معالجة خلل بالسد أوردته بتقريرها، وورد ذلك أيضا بدراسة أجراها أحد أساتذة الهندسة بجامعة عمر المختار ونشرته جامعة سبها وكنت قد كتبت عن فيضان العام 1959م، بكتابي الموسوم بحكايات المدينة القديمة، وأشرت لحالة السد من خلال آراء المختصين، والمخاطر المحيطة بنا، وقلت بالحرف الواحد، أن مثل هذا الفيضان 2011م قد يتكرر بصورة وخسائر أكبر، والمؤسف المؤلم أن بيت درنة الثقافي أقام ندوة عن مخاطر السد بعنوان (وادي درنة ومخاطر الانهيار) ومما يدمي القلب ويوجع الخاطر أن الندوة كانت يوم 6 سبتمبر 2023م، والفيضان كان بعد أربعة أيام منها، لم يحضرها أي مسؤول بالمدينة، وربما لم يسمعوا عنها، أدارها شاعر درنة الشاب مصطفى الطرابلسي، وقدم لها ببيت من قصيدته المشهورة التي تهاجم الفساد والفاسدين بدرنة، إذ قال (نعزيك يا خوي درنة فيها .. هي راحت وتريد من يرثيها) ومن العجائب أن الفيضان جرف البيت الثقافي وجعله أثرا بعد عين، وامتد ليجرف الشاعر الطرابلسي .

للأسف أن السلطات لم تأبه بما قيل ويقال وسيقال، فكان الذي كان، وما كانت ضريبته عالية، 55000 بين ميت وجريح ومعاق ونازح ومشرد ومنكسر نفسي.

ليلة دنيال

رغم أن الميكنة الالكترونية سهلت دروب الحياة وفتحت لنا أفاقها في كافة مناحي الحياة، إلا أنهم لم يستفيقوا من غفلتهم وسخريتهم وتهاونهم بحياة وأرواح البشر، سيمتهم العبث، ورغم أن عاصفة دنيال كان يتابعها البعض منا بمواقع الرصد الجوي عبر شبكات الانترنت، ومنهم من اهتم بها منذ ولادتها بالبحر المتوسط المغلق حتى دخلت الأجواء الليبية، إلا أن السلطة بمدينة درنة لم تحدد بشكل مسبق آلية عملها، من حيث هل أن القادم عاصفة أم إعصار متبوعا بتسونامي (فيضان شاطئ البحر) كل ما قامت به السلطة أنها استنفرت قوتها ونادت عبر مكبرات الصوت بضرورة إخلاء كافة المناطق المتاخمة لشاطئ البحر، فنزح منها من نزح، واستجاب للأمر من استجاب، ورفض من رفض، وتردد من تردد، الغريب أن بعض الذين استجابوا لأوامر السلطة

وغادروا شاطئ البحر قد قضوا وأقرابهم، ومن استضافوهم بعد أن نزحوا للمناطق المنخفضة بوسط المدينة، والتي كانت بمصب الوادي، ونازحي حي السيدة خديجة خير مثال على ذلك، لم يقف الأمر عند هذا الحد فقط، وإنما صدرت الأوامر عبر مكبرات الصوت بأن الزموا بيوتكم فلزموا حتي باغتهم السيل عرمرما، وكانت كارثة بشرية حركت مشاعر الإنسانية، وتصدرت كلمة غوتيرش الأمين العام للأمم المتحدة خلال أعمال دورتها الثامنة والسبعين جاءت مؤثرة وصب جام غضبه على المسؤولين الليبيين وصراعهم على السلطة وفسادهم المالي.

إن الحديث عن مصيبة انفجار السد كارثية بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وإنه يروق لي كأحد سكان مدينة درنة أبا عن جد أن أصفها بالجناية وليست الكارثة، يجب أن تطال يد العدالة كل من هو مسؤول عنها من الخفير وحتى رئيس الوزير، لأن ضحيا المصيبة أقفلت العديد من كتيبات الأسر، واندثرت عائلات من تاريخ المدينة الاجتماعي، صور وأحاديث مفزعة يرويها من نجوا من الكارثة.

إن تقاطر أهل ليبيا على مدينة درنة منذ اليوم الأول للكارثة خاصة من غرب البلاد وجنوبها محملين بالغذاء والدواء وأرتال الأليات والمعدات والمال كان له عظيم وبالغ الأثر في تخفيف المصاب، وتطبيب الجراح، لقد قدموا الكثير والكثير، وفاقت فزعتهم كل الجهود، وأحدثت تقاربا على كافة الصُعد السياسية والاجتماعية والعسكرية، إن النخوة الموسومة (بفزعة الخوت) من كافة المدن والقرى والتجمعات السكانية البسيطة، ستذكرها صفحات التاريخ الليبي بل وسنطالب بتدريسها لأبنائنا بمدارسهم.

أعتذر منكم لأني أكتب بثلث قلمي، ونصف عقلي، أما روحي فهي ممزقة، والحمد لله رب العالمين .

ما وراء الكارثة

ترجمة: نسرين إسماعيل

نشرت صحيفة وول ستريت جورنال مقالا للكاتبين بينوا فوكون، وجاريد مالسين يكشف عن معلومات ووثائق تتعلق بالفساد والعرقلة التي تسببت في غياب الصيانة والتجديد لسدي درنة، مما تسبب في النهاية في كارثة إنسانية مهولة ضحاياها بالآلاف، ويسرد المقال تفاصيل عن عقود من الفساد والعبث عطلت مشاريع صيانة السدين، ومما جاء في مقال كل من فوكون ومالسين:

يبدو أن كارثة السد هي نِتاج تاريخٍ من الصراع السياسي والفساد الاقتصادي، وسنوات طويلة من تجاهل تحذيرات يعود تاريخها إلى عهد نظام القذافي.

بدأت القصة عام 2003، حين جاءت مجموعة من المهندسين السويسريين لفحص زوج من السدود على طول نهرٍ شرقَ ليبيا، وقد خلصوا إلى أن الهياكل كانت تحت ضغط شديد، وأوصوا بصيانتها وبناء سد ثالث لتخفيف الضغط عليها، لكن المهمة لم تُنجز، فقد فرّت الشركات الثلاث التي تم استئجارها لإصلاح السدود، وذلك عقب بدء أحداث 2011 والتي نتج عنها الإطاحة بالقذافي ونظامه.

في الحادي عشر من سبتمبر من هذا العام، أي بعد عقدين كاملين من الإهمال المتعمّد، غمرت عاصفة قادمة من البحر الأبيض المتوسط السدين، مما أدى إلى تدميرهما وإرسال سيل من المياه عبر مدينة درنة أدى إلى جرف أحياء بأكملها إلى البحر وقتل أكثر من 6000 شخص، لقد كانت خسارة كارثية في الأرواح، أعطت مثالاً حيا لطغيان الفساد، وأشعلت موجة غضب على الحكومات في جميع أنحاء الشرق الأوسط، خسارة أثارت

تساؤلات حول مدى قدرة البنية التحتية في المنطقة على تحمل الأحداث المناخية القاسية مثل العاصفة دانيال، والتي يقول العلماء إنها تفاقمت بسبب القوى الناتجة عن تغير المناخ.

يقول أنس القماطي -مدير معهد صادق للأبحاث في طرابلس -:» لقد كان الإهمال مقدمة للكارثة برمتها، سئم الليبيون، ويريدون أن يروا محاسبة فعلية وشفافة للمسؤولين عن الكارثة»

ويأتي انفجار السد بعد سلسلة كوارث عمّت أنحاء المنطقة، حيث أدى انفجار في مرفأ بيروت إلى تدمير جزء كبير من العاصمة اللبنانية، تلاه سلسلة من حرائق المستشفيات أدت لمقتل العشرات في العراق، وأحداث سوريا التي تدور رحى حربها الأهلية منذ سنوات، فقد تم تدمير جزء كبير من البنية التحتية، وفي تركيا حيث تسببت قوانين متساهلة تتعلق بالبناء والمنشآت في مقتل أكثر من 50 ألف شخص في زلزال فبراير/شباط.

وما تزال الإنذارات تتوالى بشأن مدى استقرار المشاريع العملاقة التي أُسست في عهد الزعماء المستبدين خلال السنوات الماضية، ويشمل ذلك زوجاً من السدود على نهري دجلة والفرات، وهي المنطقة التي شهدت سنوات من الصراع مع مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق.

ومع ظهور الحصيلة النهائية لضحايا الكارثة، شهدت درنة حيث مركز الكارثة الليبية تظاهرةً تطالب بالعدالة وإقالة القادة المحليين، وقد تجمع المتظاهرون أمام أحد المساجد، وقاموا في وقت لاحق بإشعال النيران في منزل رئيس البلدية، وفي تحقيق أجرته صحيفة وول ستريت واستناداً إلى وثائق وتقارير من ديوان المحاسبة التابع للحكومة الليبية، ومقابلات مع مسؤولين ليبيين ومقاولين أجانب كان قد تم تعيينهم لإصلاح السدود، تبيّن وجود سوء إدارة ممتد منذ عهد القذافي وحتى الوقت الحاضر.

لقد كانت السدود الممتدة على طول وادي درنة جزءًا من خطط القذافي لتوسيع نطاق الاقتصاد الليبي بعد وصوله إلى السلطة وقبيل عقد من تسلمه للحكم، حيث بنتها شركة مما كان يعرف آنذاك بيوغوسلافيا عام 1978، لكن ما حدث في الواقع كان دخول البلاد ولفترة طويلة للعزلة الدولية التي لم تنتهي إلا بعد أن وافقت ليبيا على التخلي عن برنامج الأسلحة، وتسليم المشتبه به في تفجير رحلة بان أمريكان رقم 103 فوق مدينة لوكربي -أسكوتلندا.

وبعد رفع عقوبات الأمم المتحدة عام 2003، وخلال أيام فقط تلقى ميغيل ستوكي -مهندس السدود المقيم في لوزان السويسرية -مكالمة هاتفية من الهيئة العامة للمياه في ليبيا لطلب المشورة بشأن السدين، وقيل إن شركته الاستشارية، المسماة Stucky، أوصت بتعزيز المبنيين الحاليين، وبناء مبنى ثالث وإزالة السدود لتجنب الفيضانات.

استمر ستوكي في تقديم المشورة للحكومة الليبية، حتى عام 2008 عندما نجا بأعجوبة من الاعتقال الذي طال شريكه التجاري، فصودرت أعماله في تجارة الاسمنت في طرابلس، وكان ذلك ردة فعل واعتراض لاعتقال هانيبال نجل القذافي في جنيف بتهمة ضربه لمساعديه، لتتوقف بعدها زيارات ستوكي لليبيا، ولم تقم شركة الخدمات الهندسية السويسرية التي اشترت أعمال ستوكي في عام 2013 المسماة Gruner بالتعليق على الأمر.

وقد كانت الحكومة الليبية بطيئة في تنفيذ مقترحات ستوكي، فتوقف العمل مرارا وتكرارا، إلى أن أوقف سيف الإسلام، الابن الثاني للقذافي، والذي وصف نفسه

بالمصلح، المدفوعات لمشاريع البنية التحتية الكبرى وسط صراع على السلطة بين أبناء الديكتاتور والحكومة الليبية في ذلك الوقت، ووفقا لمسؤولين ليبيين، ومنهم محمد علي عبد الله – الذي عمل في ليبيا ضمن لجنة مكلفة عام 2012 بتوحيد ديون البلاد بعد سقوط نظام القذافي – فإن القيادة الليبية اللاحقة ورثت أكثر من 10 مليارات دولار من الفواتير غير المدفوعة، مما يؤكد بأن الفاتورة باهظة الثمن لمحاولات القذافي لإعادة دمج البلاد في المجتمع الدولي لم تسفر سوى عن القليل من الفوائد الملموسة للمواطنين الليبيين.

يقول تيم إيتون، باحث في مركز الأبحاث تشاتام هاوس ومقره لندن، والمؤلف المشارك لتقريرٍ صدر مؤخرا حول تواطؤ النخبة وانهيار البنية التحتية في المنطقة: «بالنظر إلى مليارات الدولارات المفترض أن إنفاقها قد تمّ لأجل التنمية في ليبيا بعد العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أي عندما خرج النظام من حالة العزلة على المستوى الدولي، نتساءل ما الذي كان على الليبيين إنجازه حقًا بمثل هذه المبالغ؟ «

كان الوقت ينفد أمام صيانة سدود درنة، وتم التعاقد مع شركة أردنية تدعى شركة الكونكورد للإنشاءات عام 2010، وذلك لبناء خط أنابيب متصل بالهياكل مقابل 1.6 مليون دينار ليبي، إلا أن الشركة لم تقم بأي عمل، وذلك حسب ديوان المحاسبة التابع للحكومة الليبية، وقد قال حامد جبر، المؤسس والرئيس التنفيذي لشركة الكونكورد، إن مشروعه لم يكن يتعلق بالسدود نفسها، وقد تأخر بسبب نزاع مالي مع حكومة القذافي.

وتم استدعاء شركة إيطالية لتقديم تقييم آخر، وخلصت مرة أخرى إلى أن السدود بحاجة إلى تقويّة وتعزيز، فاستأنفت شركة Arsel Inşaat، وهي شركة تركية تعاقدت في البداية لترميم السدود، واستأنفت المشروع عام 2011، وأكملت ما يزيد قليلاً عن خُمس العمل، وذلك قبل انتفاضات الربيع العربي التي أطاحت بالديكتاتورية، وانتشرت بسرعة في جميع أنحاء الشرق الأوسط، فأدت إلى سقوط معمر القذافي ومقتله، وتلتها سنوات من الحرب الأهلية.

وقد قام مثيرو الشغب بتدمير موقع عمل شركة Arsel Inşaat في سد درنة وسرقوا معداته، مما أجبر الموظفين على الإخلاء، وقال مروان البارودي، المشرف على شركة الاستشارات الإيطالية: «كان على مهندسينا أن يهربوا للنجاة بحياتهم»، وقال إنه عاد بعد سقوط نظام القذافي لتدريب المسؤولين الليبيين على استئناف العمل على السدود، ولكن الوضع الأمني للأسف لم يستقر مطلقاً.

درنـــــة ... أوتــاد الذاكرة توجع الأهالي

تقي الدين الشلوي

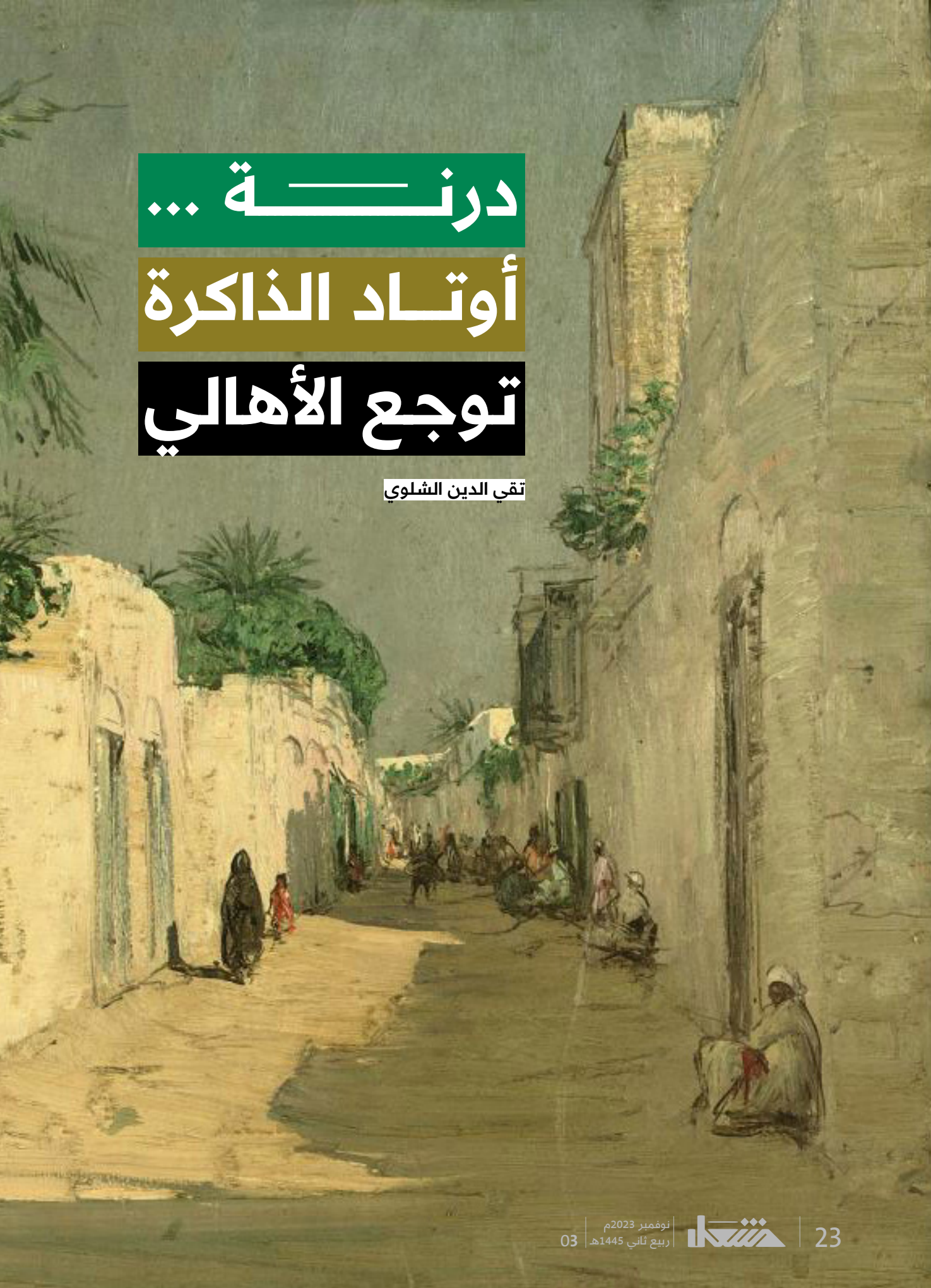

في تلك الليلة شطر فيضان وادي درنة؛ المدينة إلى نصفين، وقبيل الفجر كانت الأحياء الشرقية والغربية بمنطقة وسط لبلاد مغمورة بالمياه كبحيرة واحدة، وفي قاعها رقد القتلى والمفقودين، وعلى سطحها الطامي طفت الملامح والمعالم، وعندما تسللت خيوط النهار مصبوغة بالحمرة على امتداد أفق البحر من الناحية الشمالية؛ أشرقت الشمس لتلد معها ذاكرة جديدة لا تنسى.

ليس المقام هنا أن نروي تفاصيل الليلة التي جرت في الظلام الدامس، وبالمناسبة فإن الأهالي وإلى اليوم؛ يشكرون الله ويحمدونه أن جرت الأقدار في الليل الحالك، فلو وقعت منتصف النهار، لكان هول الصدمة عليهم مضاعفاً؛ فغالب من قتل، أو فقد اختطفته المنية بعيداً عن الأعين، ومن عايش لحظات الموت، ونجا بأعجوبة لم ير شيئا، فما يذكره الأهالي وقتها؛ أصوات المطر والرعد والاستغاثة، ولعل نداءات المنكوبين المسجلة خلال اللحظات الأخيرة تغني عن التفصيل، فتلك الأصوات ما تزال تطن في الرؤوس مذكرة بهول الفاجعة، وإذا ما تأملها المرء، وسرح بخياله ارتعدت فرائصه من فرضيات النهاية.

من المسائل التي خطرت لي بعد عاصفة دانيال، مسألة الذاكرة وارتباط الإنسان بالمكان واختلال الشعور بين الماضي والحاضر، وحتى أكون دقيقاً في تفصيل الفكرة، فلا بد أن أعود بالذاكرة إلى العام ألفين وثمانية عشر، عندما غادرت مدينتي مجبوراً فجر ليلة عيد الفطر المبارك، ومن ذلك التاريخ وحتى لحظة كتابة هذه الكلمات لم أعد إليها، وحقيقة كنت أمني نفسي أن اللقاء قادم لا محال، وإنما هي مسألة وقت ليس إلا، أما بعد حلول الفاجعة تغير الأمر، واتخذت قراراً بألا أعود إليها ولن أزورها مطلقاً تحت أي ذريعة كانت، وقد يكون هذا مثار استغراب ومحل تعجب، وهو ما سأحاول شرحه، والإجابة عنه في السطور التالية.

في الشهور التي تلت خروجي من درنة، وكلما داهمني الحنين إليها؛ كان كل ما علي فعله ببساطة، أن أتوسد مكاني، وأسرح بخيالي كأني في شوارعها التي أعرف، أتلمس طريقي مغمض

العينين في حارات المدينة القديمة، ألج أزقتها وأطوف بين ساحاتها. كنت قادراً على استدعاء المشاهد التي أريد، وتصور الحجر والبشر، بل أكاد في أثناء رحلتي الأليسية أن استنشق الروائح العالقة في الجدران القديمة، وتلك الفائحة من المتاجر العتيقة، حتى شعاع الشمس المتسرب من شقوق السقوف أكاد أراه يلمع على أجفاني.

كنت أحسب أن استحضار تلك المشاهد في الذاكرة يسير، كل ما يلزمه لحظة صفاء وعينين مغلقتان ونفس تواقة للمكان حينها

يمكنني الانطلاق في رحاب الماضي للتجول بين الأماكن وزيارة الأشخاص؛ حتى التقيت أشخاصا يعجزون عن ذلك، ويواجهون مشكلة تتعلق بالذاكرة، فما أتت عليه الحرب وما أحدثته من دمار، وشاهدوه عياناً على حالته المشوهة جعل من الصعب عليهم استدعاء تفاصيل المكان دون تشوهات، إذ حلت الصورة الجديدة بدل القديمة فوراً، وصار عسيراً عليهم تشغيل شريط الذاكرة والعودة به وراءً إلى ما قبل منتصف عام ألفين وثمانية عشر، وهي معضلة لم أواجهها، حتى لما شاهدت الصور الفوتوغرافية فإنها لم تتمكن من العبث

بذاكرتي، وظلت حصينة منيعة، وصارت تلك المشاهد الوافدة كومضات أنساها سريعاً، بل كنت أحتاج إلى العودة إليها إذا ما أردت تأمل الخراب.

في الواقع لم أكن مهتماً بهذه الفكرة، أو على الأقل لم تثراهتمامي حينها، حتى حلت المأساة على مدينة درنة في الحادي عشر من شهر سبتمبر، والتي غيرت مسحة المدينة كلياً. في الأيام التي تلت الكارثة، وبعد حديثي مع كثيرين من أهالي المدينة، عادت الفكرة

على ألسنتهم تدور أمامي، فهم ناجون فقدوا كل ما يملكون، وخسروا مدينة كانت عامرة بالأمنيات، ويأملون أن تعود كما كانت، لكن وفي ثنايا حديثهم يصدرون فكرة بأنهم صاروا غرباء، لكن أين؟ غرباء في درنة أي مدينتهم.

يتنامى شعور الغربة في النفوس، يبرز مع البوح، يظهر في الوجع، يكاد يكون منسوخاً بين الألسنة. أن تكون غريباً وأنت المولود هنا حيث ترعرعت ونشأت، بالكاد تعرف ما حولك وأين أنت! تلك حالة عامة يمكن رصدها، ولعلي ألخص هذه النقطة على لسان صديقي

عندما قال لي: »أنت محظوظ«، إذ خرجت من درنة قبل الحرب والعاصفة، واحتفظت بصورتها الحقيقية، وليست مشوهة كحالها اليوم.

من المواقف التي تستحق أن تذكر في هذا السياق، أن شخصاً أصيب بالعمى قبل فترة طويلة، وقدر له المولى النجاة، وكان متلهفا لمعرفة ما جرى، وبعد لقاءات مع ذويه وأصحابه، وسؤاله عن التفاصيل، واستماعه لسيل من القصص والأوصاف، نهض مذعوراً وأقسم على الناس ألا يذكروا له مكاناً هدم أو معلماً جرف أو إنسانا مات، قائلاً: دعوني وذاكرتي، وهي عبارة كثيفة الدلالة، فحتى الأعمى يخشى على ما يحتفظ به من صور لمدينته أمام الكم الكبير من التغيير الذي أحدثه الفيضان..

ليس مصاب درنة في فقدها للرجال والنساء والأطفال، وذلك أكبر المصائب وأقساها وما دونها يسير، وليست فاجعتها في معالمها أو ملامحها ولا أحيائها وحسب، فثمة مصاب آخر بعيد عن الملاحظة متمثل في أزمة الذاكرة، فالذهنية الدرناوية مشوشة، وتتعرض لإشعاع يعبث بسكونها النفسي.

تأخذنا هذه الفكرة إلى مصطلح قديم يشرح فكرة المعاناة النفسية التي يتجرعها الإنسان المبعد عن موطن نشأته لظروف ما، طوعية كانت أو قهرية، فيشعر بالحنين إلى ماضيه، يتعاظم لديه الشوق إلى بيته وشوارع مدينته وأزقتها ومقاهيها لكنه لا يستطيع العودة؛ وهو مصطلح النوستالجيا، لكن المختلف في الأمر أن الدارونة يعيشون تلك الحالة، أما العجيب في شأنها أنهم يحيونها في مدينتهم، أي أنها معاناة جامعة للماضي والحاضر، وهذا فريد.

بعد نحو ستين يوماً من الكارثة قد تكون درنة سلكت خطوات نحو التعافي المادي من الصدمة، وقد يتطلب شفائها في هذا الجانب سنوات، فقد عاد السكان إلى حياتهم، وبدأوا في التطبيع مع الواقع، وأسمى ما يرجونه أن يألفوا روتيناً، وبدأت أعمال الصيانة والهدم، وإن كان لا يُعلم هل ستنهض المباني مجدداً أم لا! وهاجر من هاجر، وبقي من بقي محاولاً أن يحيا حياة طبيعية، وبينما تتواصل عمليات انتشال رفات المفقودين من أعماق البحر بجهود تطوعية؛ تبقى ندوب الكارثة ومرارة الذاكرة عالقة في طوايا النفس.

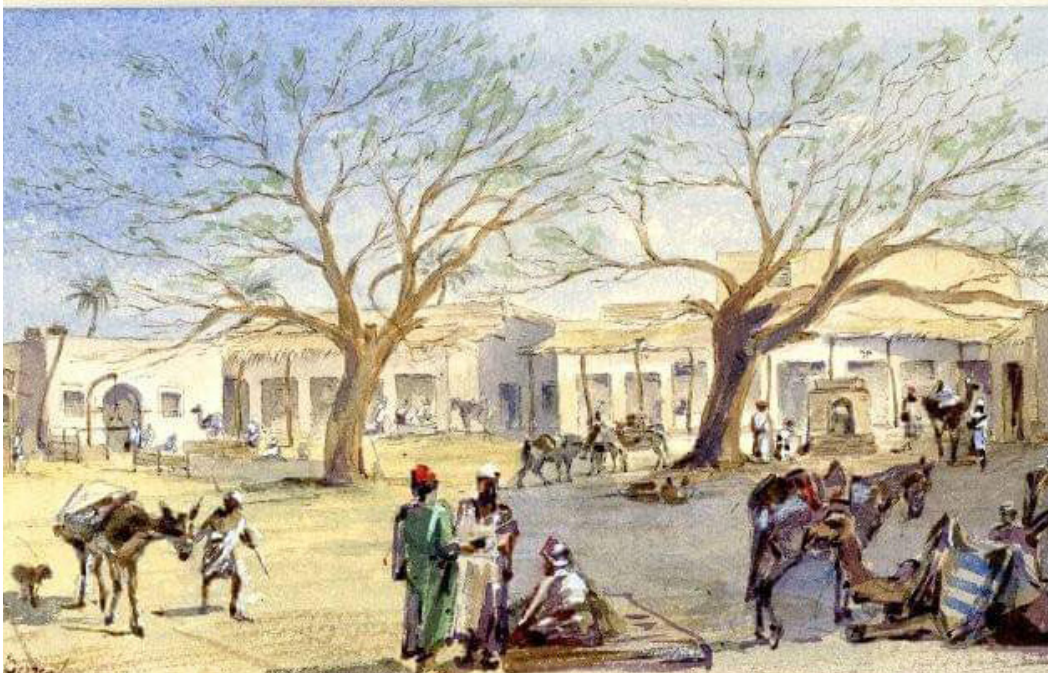

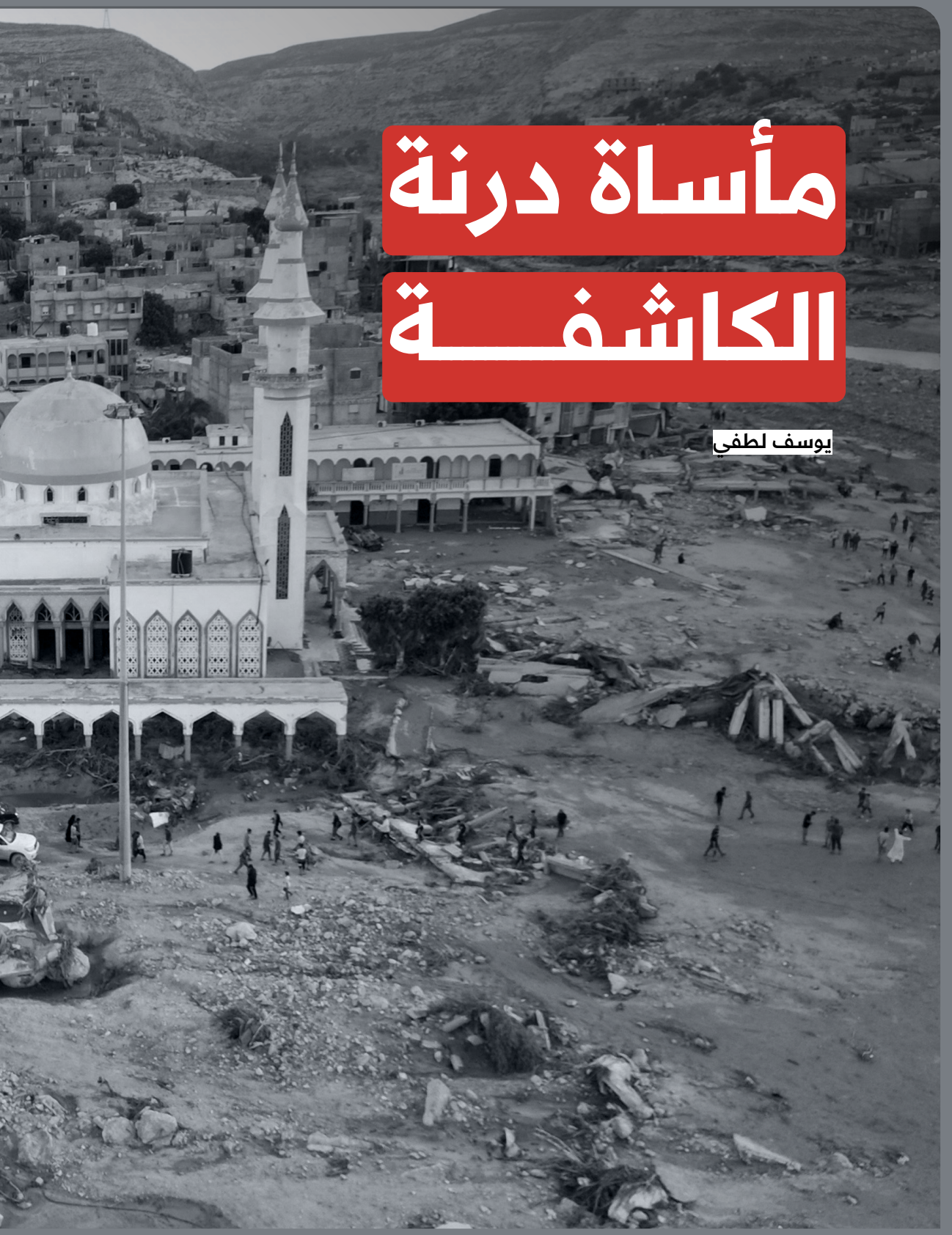

مأساة درنة الكاشفة

يوسف لطفي

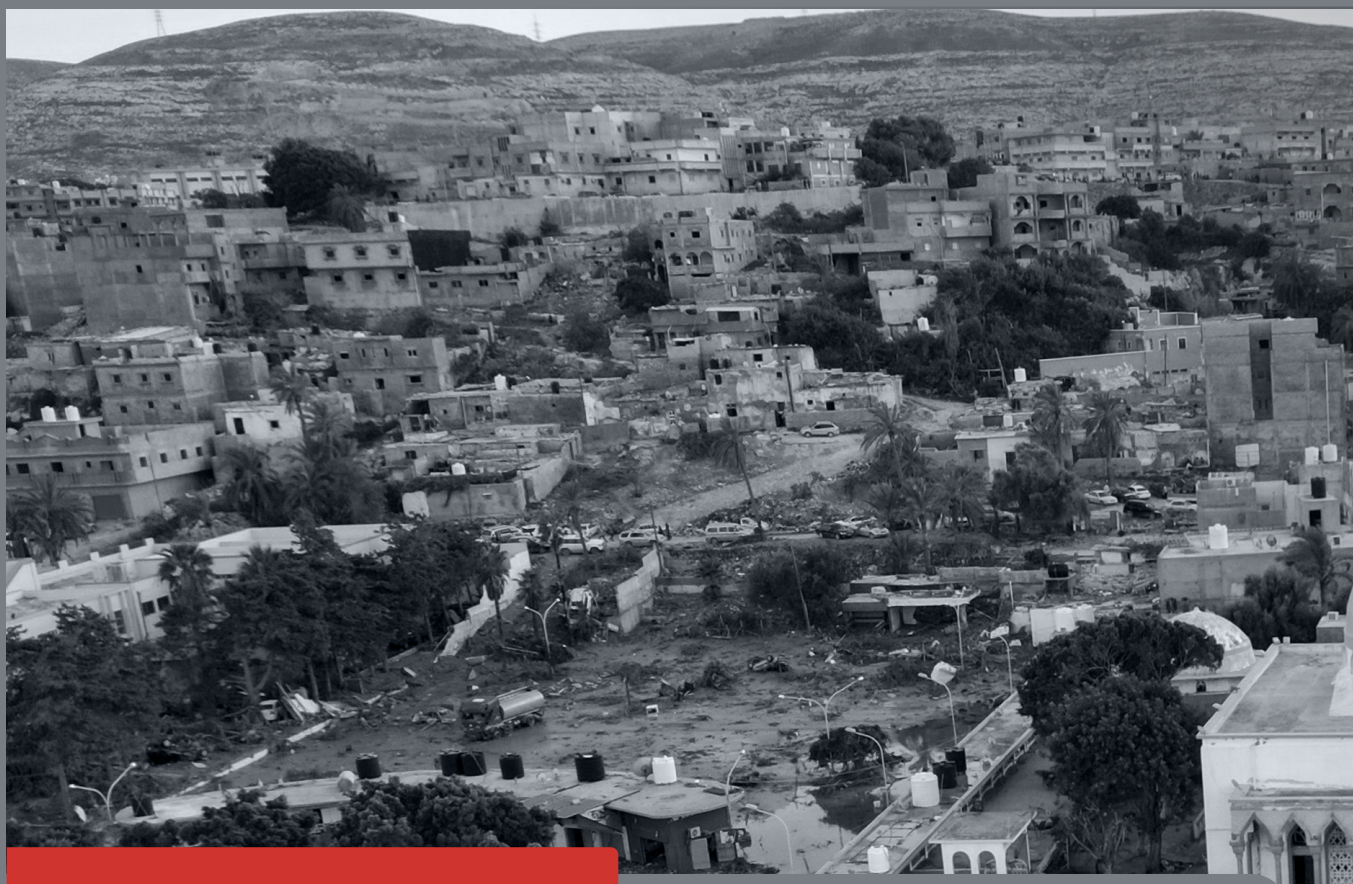

عصفت بمدينة درنة ليلة الاثنين الماضي إحدى أكبر الكوارث الطبيعية التي شهدها العالم خلال العقد الأخير، حيث أدى انهيار سدي وادي درنة (سد البلاد بسعة 15 مليون متر مكعب، وسد بو منصور بسعة 22 مليون متر مكعب) إلى فيضان ضخم جرف المناطق والأحياء القريبة المحاذية للوادي ليقذف بها في البحر ويغير ملامح المدينة إلى الأبد. وتمثل المدينة القديمة وأضرحة قبور الصحابة الفاتحين رضوان عليهم شاهدا على حجم التغير الذي أصاب ملامح المدينة فقد صمدت هذه المعالم التاريخية أمام الفيضانات التي شهدتها المدينة عبر تاريخها إلا أن هذا الفيضان أدى إلى تجريفها تماما وجعلها أثرا بعد عين.

الفيضان كان أشبه بتسونامي عكسي اكتسح كل ما في طريقه من أحياء ومساكن، كما دمر الطرق الشمالية المؤدية إليها والواصلة بين غربها وشرقها، وتظهر الصور ومقاطع الفيديو المنتشرة حجم الكارثة التي حلت بالمدينة حيث جرف وأغرق الفيضان أكثر من ثلث من المدينة.

وتشير التقديرات الأولية لأعداد الوفيات أنها قد تتجاوز 20,000 حسب تقديرات مركز البيضاء الطبي، في حين أفاد وزير الصحة للحكومة الموازية أن أعداد الوفيات قد تبلغ 30,000 بناء على تقديرات حصر السكان، وقد تجاوز عدد الوفيات المؤكدة أكثر من 6800 حالة مسجلة إلى تاريخ 13 سبتمبر مع ارتفاع الأعداد بشكل متزايد مع استمرار توافد فرق الإنقاذ وفرق الدفاع المدني الدولية-، أما عدد المفقودين فقد سجل الهلال الأحمر الليبي نحو 12000 حالة مؤكدة في حين

بلغ عدد النازحين نحو 30,000 في مدينة لا يتجاوز تعدادها السكاني 120,000 نسمة!

فساد الدولة ودور المجتمع:

يناهز عمر السدود المنهارة نحو الخمسين عاما، حيث بنيت في أوائل سبعينات القرن الماضي ولم تشهد أي عمليات صيانة أو ترميم منذ أكثر من 20 عام تقريبا، وقد حذرت الدراسات والندوات العلمية على مر الأعوام الماضية من الخطر المحدق بوادي درنة وسدوده والطرق المحيطة به، منها رسالة دكتوراه نشرت في 2022 للدكتور عبد الونيس عاشور نصت في استنتاجاتها على الآتي:

«الوضع القائم في حوض وادي درنة يحتم على المسؤولين اتخاذ إجراءات فورية بإجراء عمليات الصيانة الدورية للسدود القائمة، لأنه في حالة حدوث فيضان ضخم فإن النتيجة ستكون كارثية على سكان الوادي والمدينة، كذلك يجب إيجاد وسيلة لزيادة الغطاء النباتي بحيث لا يسمح للتربة بالانجراف وللحد من ظاهرة التصحر»

«من خلال الزيارة الميدانية إلى وادي درنة، وجدنا بعض المساكن في مجرى الوادي، الأمر الذي يتطلب توعية السكان بخطورة الفيضانات واتخاذ كافة التدابير والإجراءات اللازمة للحفاظ على سلامتهم»

في حين ينهمك الليبيون من كافة المدن شرقا، غربا، وجنوبا في عمليات الإنقاذ التطوعية وفي توفير الإغاثة اللازمة لإسعاف أهالي درنة، إلا أن مشاهد انهيار البنية التحتية في عدد من مدن الشرق الليبي وما تسببت فيه من خسائر فادحة في الأرواح والأموال وتعطيل الحياة العامة وتكبيد المواطنين خسائر مادية ومعنوية كبيرة، وأرقام الوفيات وحجم الأضرار الكارثية بمدينة درنة، دفعت العالم ليتساءل عن حجم الفساد والتسيب في أجهزة الدولة ومؤسساتها والذي أدى إلى تغييب الحد الأدنى من إجراءات الأمن والسلامة فضلا عن الخدمات والحقوق البدائية التي من شانها أن تحفظ سلامة المواطنين.

يقدم تقرير ديوان المحاسبة لعام 2021 جزءا من الإجابة، حيث يكشف التقرير في الفصل الثاني عن أوجه فساد كثيرة نخرت وتنخر وزارة الموارد المائية، وينص التقرير تحت بند «ميزانية التحول» على «تقاعس الوزارة باتخاذ الإجراءات اللازمة حيال المشاريع المتوقفة» والتي جاء على رأسها مشروع لصيانة وتأهيل سدي درنة بقيمة تناهز 15 مليون دينار.

ورغم ما يكشفه التقرير من صور للفساد المالي والتفسخ الأخلاقي، إلا أنه يظل جزءا من المشهد الكلي، فالمسؤولية لا يمكن أن تحصر في وزارة أو بلدية ولا يمكن أن تلخص في فساد عام أو عامين، فدرنة مدينة عانت من الفيضانات طوال عمرها الحديث، وهي مدينة «مصب» تحيط بها المرتفعات، وحسب تقييمات لخبراء ومختصين فإن أجزاء كبيرة من المدينة غير صالحة للسكن والإقامة، كما أن الطرق المؤدية إليها والمحيطة بالوادي متهالكة، فضلا عن غياب التجهيزات والإجراءات والنظم اللازمة للإنذار في حالات الطوارئ أو وجود خطط إخلاء وما إلى ذلك من إجراءات بدائية وضرورية تتحمل مسؤوليتها السلطات المركزية والمحلية والوزارات والهيئات وأخيرا السلطات العسكرية التي تحكم قبضتها على مؤسسات شرق البلاد.

في المقابل فإن الحملات الشعبية العفوية لإنقاذ المدينة وإغاثة أهلها تمثل أكبر شاهد ليس على فشل وفساد جهاز الدولة فقط، وإنما على فشل مؤسسات المجتمع المدني وهيئات الإغاثة المدنية، ويمثل فشل المؤسسات الأهلية مؤشر خطير على تخبط في القيم الموجهة لأعمال هذه المؤسسات وبعدها عن القضايا المجتمعية والإنسانية الملحة والمحورية في حياة الناس.

إن مأساة درنة كاشفة لما هو أعمق من فساد مالي في إدارة أو مؤسسة أو وزارة، فهي تكشف

الغطاء عن قصة تفسخ أخلاقي وتسيب قيمي -تقترب من نهايتها-، فتحول الفساد لجزء طبيعي من الممارسة السياسية وانهيار الحس العام بالمسؤولية وغياب المؤسسات الأهلية عن الشأن العام في ظل غياب أي بوادر إصلاح في الأفق يشير نحو أحد اتجاهين: الانفجار أو الانهيار.

إن غياب موقف أخلاقي جماعي واضح للشارع الليبي من قضايا الفساد والظلم والاستبداد هو الأساس الذي يقوم عليه فساد السلطة السياسية وتراجع الحس المجتمعي بالمسؤولية تجاه الوطن، وإن كل الحلول الإدارية والقانونية المطروحة لمعالجة الفساد المتأصل في جسد الدولة ستظل حلول ركيكة تدور في

درنـــــة: بين المحنـة والمنحـــة

محمد خليفة

الفيضان الذي ضرب المنطقة الشرقية من ليبيا اشتهر بفيضان درنة لأن تلك المدينة كانت المتضرر الأكبر نظرًا لارتفاع عدد ضحاياها وخسائرها المادية، بسبب انهيار سدين على واديها. هذه الاحداث خفف من وقعها بعض الشيء تضامن وتعاضد الليبيين، فكان السيل الجارف محنة حملت منحة، وهو الأمر الذي سأفصله في فقرتين، الأولى عن المحنة والثانية عن المنحة.

أولاً: المحنة.

لا خلاف في أننا في حاجة لأن نصلح ما بيننا وبين الله من حين إلى آخر، ولا خلاف إلى أننا في حاجة لإصلاح ما بين المسلمين كذلك. وبهذه المناسبة سأتحدث حديث إنسان مسلم للمسلمين. والمعنى أن المرجو من هذا الحديث هو الله واليوم الآخر لا غير.

البداية ستكون بقوله تعالى: «**إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**». والذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا يرضى ويغضب ويحب ويمقت، ويعاقب، وعقابه أليم شديد. وما يُغضب الله ويجعل الإنسان محلاً لمقته جملة أشياء تجتمع في كلمة واحدة هي «المنكر»!

ولا شك عندي في انتشار المنكرات وانتهاك الحرمات وتجاوز الحدود بشكل يجعل

الإنسان الذي يؤمن بالله ويخشى غضبه يتوقع حلول العقاب على عموم الناس وليس على أهل الذنوب والموبقات فقط، لقوله تعالى «**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**». وقد جرت سنته في خلقه تسليط العذاب على المذنبين: «**فكلاً اخذنا بذنبه، فمنهم من ارسلنا عليه حاصبًا، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**».

هذا الكون، المسخر للإنسان، ينقلب إلى أداة عقاب له إذا خرج عن طاعة الله، فاستحل حرماته وتجاوز حدوده وسفك دماء أولياءه. وما خسف الأرض وارسال الأعاصير إلا شيء من ذلك. وما حصل في المنطقة الشرقية من ليبيا حصل بمنطقة تشتهر بكرم أهلها وكثرة علمائها، لكن ذلك لا ينفي وقوع الكثير من المنكرات فيها، ومن ذلك ما حصل قبل الإعصار بأيام من اجتماع، مسجل صوتًا وصورة، طلب فيه بعض الخطباء طرد بعض العائلات من المنطقة لا لسبب إلا لأن بعضًا من افرادها أعلنوا عن ترشحهم للانتخابات أو رغبتهم في ذلك.

وإخراج الناس من ديارهم بغير حق منكر من المنكرات التي أصابت مئات الألاف من ساكنة المنطقة الشرقية في السنوات السابقة، وكان التهجير يتهدد آخرين قبل حلول الكارثة. فمن الواجب الآن التخلي عن فكرة اخراج الناس من ديارها لخلاف في الرأي أو الموقف السياسي. ومن الواجب كذلك تمكين الذين هُجروا من العودة إلى ديارهم، حتى يرفع الله مقته وغضبه عن الجميع في الشرق والغرب.

وما سلف يوصلني إلى الإصلاح بين المسلمين، بعد إصلاح ما بيننا وبين الله بسبب هذه المحنة التي تحولت إلى منحة شعارها «الشعب الليبي كله خوت» وتحولت الأخوة إلى فزعة لإنقاذ الضحايا ومساعدتهم على تجاوز المحنة!

ثانياً: المنحة.

لقد كان تصوير طرابلس (أو الغرابة) مصدرًا لمشاكل برقة جزءًا من برنامج هدفه الخفي فصل برقة عن طرابلس، وتقسيم ليبيا إلى ثلاث دول على الأقل. وقد سار الكثير من الليبيين في هذا الطريق وهم غافلون.

والمنحة التي جاءت بها كارثة درنة هي اقناع سكان المنطقة الشرقية بأن طرابلس ليست سبب شقاء برقة، بل هي تحمل لها ولأهلها كثيرًا من الود، وهو الأمر الذي ظهر جليًا في الهبة العفوية لمساعدة المناطق المنكوبة، وبما يغني عن أي تأكيد

أو تفصيل. وبذا أصبحت قصة طرابلس خصم برقة من أخبار الماضي، وسقط برنامج تقسيم ليبيا بمبادرة المخلصين من أبناء البلاد الآن، مثلما سقط، بعد الحرب العالمية الثانية، مشروع «بيفن-سفورزا» لتقسيم ليبيا بين إيطاليا وبريطانيا وفرنسا. سقط المشروعان بمبادرة المخلصين الحريصين على وحدة البلاد في حينها، مثلما سقطت اليوم فكرة التقسيم.

والذي كان يحفر هوة عميقة بين أجزاء ليبيا وأهمها طرابلس وبرقة، كان يحفر هوة أعمق بين القوى المنظمة إسلاميًا وبين المجتمع الليبي، وهي القوى التي يطلق عليها في الجملة «الإسلام السياسي»، لكن المؤكد أن الذي كاد أن ينجح في فصل طرابلس عن برقة لازال ينجح في الفصل بين المجتمع الليبي وجملة أبنائه مما يسمى «الإسلاميين» أو «الإسلام السياسي».

والعمل على الفصل بين المجتمع الليبي والقوى الإسلامية لا مثيل له إلا محاولة الفصل بين العرب والامازيغ وايقاد نيران الحرب بينهم. ومن فروع هذا النوع من العمل اشعال الفتن بين الطوارق والتبو. ومن الذين يوقدون نيران الحرب دول اجنبية وهيئات دولية تحرض فئات المجتمع هذه على الانشقاق على المجتمع الليبي باسم «حقوق الأقليات»، والمسلم لا يكون أقلية في بلاد المسلمين إلا إذا رفع هويته القومية (العربية أو الأمازيغية أو التارقية أو التبوية) فوق الإسلام.

بكلمات أخرى؛ من خصائص الإسلام أن المنتمي إليه لا يكون أقلية إلا إذا تركه وركن إلى القومية أو العرقية أو الجهوية. وكل القوى الساعية، والمشاريع الهادفة، إلى إضعاف الإسلام واستضعاف المسلمين تجد في الأقليات العرقية حصان طروادة والميدان الخصب لتمزيق وحدة المسلمين. من هذه المشاريع اليوم كردستان الكبرى، وتامزغة الكبرى، والزغاوة الكبرى، وكلها من نوع مملكة العرب الكبرى التي كان الشريف حسين يحلم ببنائها بمساعدة الانجليز على أنقاض الدولة العثمانية. وقد قام الشريف حسين بما يسمى «الثورة العربية الكبرى» التي انتهت إلى لا شيء بفعل اتفاق «سايكس-بيكو» سنة 1916، و»وعد بلفور» سنة 1917.

كان فيضان درنة الطوفان الذي أغرق مشروع تقسيم ليبيا، لكن للأسف لازالت هناك مشاريع أخرى من النوع الذي تقدم. كل هذه المشاريع السلبية يقع على المثقف المسلم إثارتها ودحضها، حتى لا تحقق المرجو منها وهو استضعاف المسلمين بتفريق كلمتهم والامعان في تشتيت شملهم خدمة لإعدائهم.

نداءات لم يُصْغ إليها

قبل وقوع الكارثة بفترات متفاوتة، نبّه كثير من المختصين والباحثين والمؤلفين والناشطين إلى احتمالية وقوعها، وتناولت العديد من الدراسات والكتب مسألة سلامة سدي درنة قبل حدوث الفيضانات وانهيارهما، وقد تركزت هذه الدراسات على تقييم الظروف المناخية والجيولوجية والهندسية للموقع ومعايير البناء المعتمدة، وغياب الصيانة عنهما، وتحليل متانتها في مواجهة الضغوط ومستويات هطول الأمطار المحتملة، حيث أجمعت على خطورة الوضع والضرورة الملحة لأن تتخذ إجراءات من قبل المسؤولين حيال ذلك، ولكن لم يتحرك أحد.

إن تناول الدراسات والكتب احتمالية انهيار سدي درنة قبل وقوع الكارثة يعكس أهمية الأبحاث العلمية في التحذير من المخاطر والحفاظ على أرواح الناس وممتلكاتهم ودور المجتمع العلمي في ضمان سلامة البنية التحتية، وأهمية تحليل مخاطر الكوارث المحتملة.

كما يعكس مغبة الانفصال الحاصل بين السلطات والجهات الرسمية في الدولة وبين الباحثين والجامعات من جهة، إن الفساد العمل العشوائي وعدم الإصغاء إلى أهل الاختصاص قد يكون له عواقب وخيمة مثل التي شهدناها، وهي جريمة ينبغي أن يحاسب عليها المسؤولون الذين أهملوا التحذيرات ولم يكترثوا بالدراسات التي تنبه لكارثة كانت محتملة وصارت واقعا.

ونشر عبدالونيس عبدالعزيز عاشور سنة 2022 في مجلة سبها العلمية للعلوم البحتة والتطبيقي بحثه الذي حمل عنوان: تقدير عمق الجريان السطحي لحوض وادي درنة بالتكامل بين تقنيات نظم المعلومات الجغرافية و نموذج SCS-CN

وخلص «عاشور» إلى أنه «من خلال النتائج المتحصل

عليها يتضح أن منطقة الدراسة معرضة لمخاطر الفيضانات، وأنه يجب اتخاذ إجراءات فورية بإجراء عملية الصيانة الدورية للسدود القائمة لأنه في حالة حدوث فيضان ضخم فإن النتيجة ستكون كارثية على سكان الوادي والمدينة، كذلك يوصي بإيجاد وسيلة لزيادة الغطاء النباتي بحيث لا يكون ضعيفا ويسمح للتربة بالانجراف»

ويؤكد الباحث حدوث بعض أضرار في المنشآت الهيدروليكية القائمة والمتمثلة في سدي وادي درنة وذلك بعد فيضان عام 1986.

ويشير «عاشور» أنه من خلال الزيارة الميدانية فإن الوضع يتطلب أيضا توعية المواطنين بخطورة الفيضانات واتخاذ كافة الإجراءات والتدابير اللازمة لسلامتهم .

في كتابه «حكايات المدينة القديمة»، الصادر قبل عام من الكارثة حذر د. عبد الفتاح الشلوي المسؤولين من كارثة محتملة إذا لم يتم الالتفات عاجلا إلى صيانة سدي وادي درنة.

ويبدأ في سرد حكايات فيضان وادي درنة عام 1959م:

تلك الليلة قمّر البرق وخطف، ودوى الرعد وأرهب، فاسودت سماء المدينة ومحيطها، كأن قعرا أصابها فأطبقت... وهكذا يستمر «الشلوي» في رواية قصة المأساة التي وقعت آن ذاك والتي يتذكر الناس حكاياتها.

ويقول الشلوي: «إن العاقل من اتعظ بغيره، ومن سيرة الزمان وشدائدها، تلك الكارثة لها أن تتكرر في أي وقت وزيادة، وربما بنتائج أسوا، نسأل الله لمدينتنا وأهلها الحفظ والسلامة، لكنني أنصح أهلنا بمدينتنا، الرسمي منهم خاصة، والأهلي عامة، وكل النشطاء والغيارى، لابد أن نجرح سيرة الماضي القريب كما تحدثنا عن البعيد، ففي خريف العام 2011م هطلت أمطار بكميات كبيرة نتج عنها فيضان السدين، وأصبحنا نترقب الكارثة.

هناك تقارير مخيفة من شركة أجنبية مختصة بالسدود عن حاجة السد لمعالجات فنية هامة -وأهل الاختصاص لديهم الدراية والتفاصيل- وقد أشار لهذا المهندس فتحي عجرود وقدم تقريرا فنيا حول ذلك، وذكر المهندس الجيولوجي أجويدة بوبيضة أن كميات الفائض من المياه التي تجري بالوادي بعد امتلاء سدي البلاد وبو منصور، تقدر بمليون متر مكعب من المياه، وأن سد بو منصور يحجز اثنين وثلاثين مليون متر من المياه، ناهيك بالمشترك بين هؤلاء، والمتمثل في ارتفاع مستوى الطمي حول السدين»

ويختم الشلوي تحذيره موجها كلامه للمسؤولين: «هذا تذكير ليس إلا.. لعل الله يكرم المدينة بمسؤول يتفطن لهذا الخطر الكامن، ويتخذ حياله اللازم.

السادة المسؤولون أنتم الآن فوق (رأس الغرارة)، والأمور إلى اليوم لم تتغير، على أني أكتب هذه الصفحة بعد عشر سنين من وقوع تلك الأزمة، وربما زادت تأزما».

وقد حذر الشاعر والكاتب مصطفى الطرابلسي -الذي كان أحد ضحايا فيضانات درنة- من الكارثة المنتظرة مرارا، ونظم ورفاقه ندوات ومحاضرات للتوعية بالخطر علّها تلقى آذانا صاغية من المسؤولين، ولكن هيهات.. وقد كتب قبل وقوع الكارثة بفترة قليلة يقول:

«مَنْ نناشد ولمن نصرخ بالكارثة التي يجزم بها مهندسو الزراعة، وذوو الاختصاص مما سيحل بالوادي وينهي كل شيء؟!! وبعدها لن تجدي البكائيات، وسيلحق الشلال بواديه بما سبقه من الغائبات من السوق القديم، وباحة البياصة، والمدينة القديمة.

عندها لن نجد إلا أثر صفقات الأيادي ندما على ما فرطنا في جنب مدينتنا.

أقيمت بالخصوص ندوة ببيت درنة الثقافي حول موضوع الوادي ومخاطر الإهمال، لم يتجاوز حضورها العشرين، وقال فيها المختصون كلاما خطيرا حول الكارثة المرتقبة، ووجهوا تقريرا لكل الحكومات، لكن على مايبدو لا أحد يهتم إلا بعد وقوعها!»

لقد شهدت درنة عبر تاريخها عديد الفيضانات التي تحتفظ الذاكرة الشعبية بكثير من أحداثها، وقد أورد «عبد الونيس عاشور» أهمها مع بعض الأرقام المتوفرة، كما ذكر «عبد الفتاح الشلوي» تفاصيل وقصصا عنها، وهذه أبرز الفيضانات التي شهدتها درنة خلال القرن الأخير:

1 - أكتوبر 1942 خلال الحرب العالمية الثانية حدث فيضان ضخم في وادي درنة.

2 – أكتوبر 1959 حد فيضان هائل أدى إلى خسائر بشرية ومادية، كما هو معروف لدى العديد من المعاصرين، حيث وصل منسوب المياه إلى أعلى الجسر القديم الواقع وسط المدينة، وسجلت محطة درنة المناخية كمية أمطار أثناء العاصفة وصلت إلى 145م.

3 – أكتوبر 1968 هذا الفيضان كان متوسط القوة ولم ينتج عنه الكثير من الأضرار.

4 – نوفمبر 1986 حدث فيضان ضخم وذلك بعد إنشاء سدي البلاد وبومنصور وأدى إلى بعض الأضرار المادية ولولا حجز سد بومنصور كمية من المياه بلغت أكثر من 13 مليون متر مكعب من المياه لتعرض سكان الوادي والمدينة لخسائر كبيرة.

5 – سبتمبر2011م وصلت كمية المياه ببحيرة تخزين سد بومنصور إلي أكثر من 15 مليون مترمكعب بفترة زمنية قصيرة لم يشهدها السد ولا المنطقة منذ فيضان عام 1986م الأمر الذي سبب هلعا لدى سكان المدينة وخوفا بسبب استمرار تدفق المياه ببحيرة السد ووصولها إلى مستويات خطيرة خاصة أن وضعية جسم السد واستقراره تدعو للقلق.

كان ينبغي لكل هذه المعلومات التاريخية والدراسات العلمية والنداءات الأهلية أن تكون نذيرا كافيا للأخذ بالأسباب، واتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية المدينة وأهلها.. لكن ذلك لم يحدث، من يتحمل مسؤولية ذلك؟ وهل سيحاسبون؟ أسئلة نرجو أن لا تظل بلا جواب.

في رثاء الراحلين

لطالما كان الشعر من بين أهم طرائق التعبير عن المشاعر العميقة وتجارب الحياة، وعندما يواجه مجتمع مأساة أو كارثة أو تجربة مريرة، فإن ذلك ينعكس في الأدب عموما والشعر بشكل خاص، وكثيرا ما كان الشعر سجلا حفظ جانبا من التواريخ والقصص، ودوّن تفاعل الناس معها.

كتب كثير من الشعراء الليبيين والعرب قصائد في رثاء شهداء درنة ووصف ما جرى فيها، وتنوعت قصائدهم بين الحزن والرثاء، والتألم على الماضي الجميل للمدينة وتاريخها العريق، والأمل في النهوض والتعافي، وإبراز التلاحم الذي أظهره الليبيون في هذا المصاب الأليم.

وكتب الشاعر محمد المزوغي قصيدة يرثي فيها شهداء درنة ويعبر فيها عن شديد حزنه وعظيم أساه

أطلق دموعكَ إنّ الحزنَ مرّ بنا
وقد أقام فقل لي: كيف أحتملُ؟

كم كنت تحبسُها في كل نازلةٍ
مخافةَ العذلِ فليعذرك من عذلوا

لم يخلق الله دمعًا كي نخبئه
وأيُّ نفعٍ لغيمٍ ليس ينهملُ

يا جرح درنةَ دع قلبي وخذ بدني
فإنّ قلبي لهم حلُّوا أو ارتحلوا

ويصور الشاعر عمران الصديق بن حامد في أبياته بعض المشاهد العصيبة التي أثرت في قلب كل من شاهدها، فيقول في بعض قصيده:

وَالطِّفْلَةُ الشَّقْرَاءُ تَنْدُبُ أُمَّهَا
تَحْثُو الثَّرَى عَنْ قَبْرِهَا وَ تَحِيدُ

أُمَّاهُ ؛ نَادَتْ باحْتِرَاقٍ عَلَّهَا
عَادَتْ لَهَا .. هَيْهَاتَ كَيْفَ تَعُودُ !

وَ رَضِيعَةٌ فِي حُضْنِ أُمٍّ حَاطَهَا
تَحْتَ الرُّكَامِ و أُنْسُهَا مَوْؤُودُ

وَوُرَيْقَةٌ مِنْ مُصْحَفٍ أَبْدَتْ لَنَا
مَا كَانَ يُخْفِي يَوْمُنَا المَوْعُودُ

ذِكْرَى لِمُدَّكِرٍ لَعَلَّ ضَلِيلَنَا
يَرْنُو لِيَفْقَهَ مَا هُوَ المَقْصُودُ

هَذِي حِكَايَةُ بَلْدَةٍ مِنْ مَوْطِنِي
فِيهَا الْعَزِيزُ يَبِيتُ وَهْوَ شَرِيدُ
يَبْكِي لِدَرْنَةَ شِيبُنَا وَ شَبَابُنَا
وَ رِجَالُنَا وَ نِسَاؤُنَا وَ الْخُودُ

الْيَوْمَ لاَ تَثْرِيبَ عِنْدِي فِي البُكَا
الْيَوْمَ يَبْكِي الْهَشُّ وَ الجُلْمُودُ

رَبَّاهُ إِنَّا قَدْ رَضِينَا بِالْقَضَا
فَالْطُفْ وَجُدْ ، يا رَبُّ مِنْكَ الجُودُ

وكتب الشاعر السوري أنس الدغيم يرثي الراحلين في درنة ويستذكر مراكش وزلزالها:

قلبي على (مُرّاكشٍ)
ولِـ (دَرْنةَ) الدَّمعُ السّكيبُ

فهُنا حبيبٌ ذاهبٌ
وهناكَ يا وجَعي حبيبُ

ولكُلِّ فقْدٍ منهما
في كُلّ ذي قلبٍ نصيبُ

وأنشد الشاعر الجزائري أحمد الكنتي العمراني مستعجبا هول ما جرى، راجيا رب الورى أن أن يكشف الضيق ويجبر المصاب

يا لهف نفسي ما دهى
الوادي وما أجرى المُقَلْ؟!

سيلٌ تدفقَ جارفًا
ذكراكِ يا أختَ الجبلْ

رُحماك يارب الورى
لُطفا عبيدك في وجَلْ

قد ضاقَ رحبٌ من فضا
يا واسعًا عز وجلْ

ويستدعي الشاعر حامد حفيظ الأمل في تعافي المدينة وتجاوز جراحها في قصيدته «ستزهر أرضها» مشيدا بالتآلف والتعاضد بين الليبيين عقب المأساة، والتي جاء في بعض أبياتها:

ستفْرَحُ رَغْمَ فَاجِعَةِ الطوامي
و هدأةِ طعنة الرمح الزُّدِيني

ستُزهِرُ أرضُهَا باليَاسَمِينِ
و يُشْرِقُ سَقْفُهَا بالأزهرينِ

و يا جرحًا عميقًا في بلادي
تآلَفَ فِيْهِ شَمْلُ الجَحْفَلِيْنِ

سَتُزْهِرُ أَرْضُكِ السمراءُ يَوْمًا
وَ يَعْطِسُ فِيْكِ زَهْرُ اليَاسَمِيْنِ

ويسجل الشاعر محمد إسماعيل الشريف إعجابه بالصبر والإيمان والسكينة التي أبداها أهل درنة والليبيون جميعا أثناء وبعد الفيضانات التي أصابت مدينة درنة ومدن الجبل الاخضر فكتب:

فما جرى اليوم لا شيء يماثله
تلك النوازل لا شيء يوازيها

عم السّكون وكل الناس طوقها
صبر جميل تجلّى في أهاليها

لا ينطقون سوى يارب فارحمهم
أنت الملاذُ وأنت اليوم حاميها

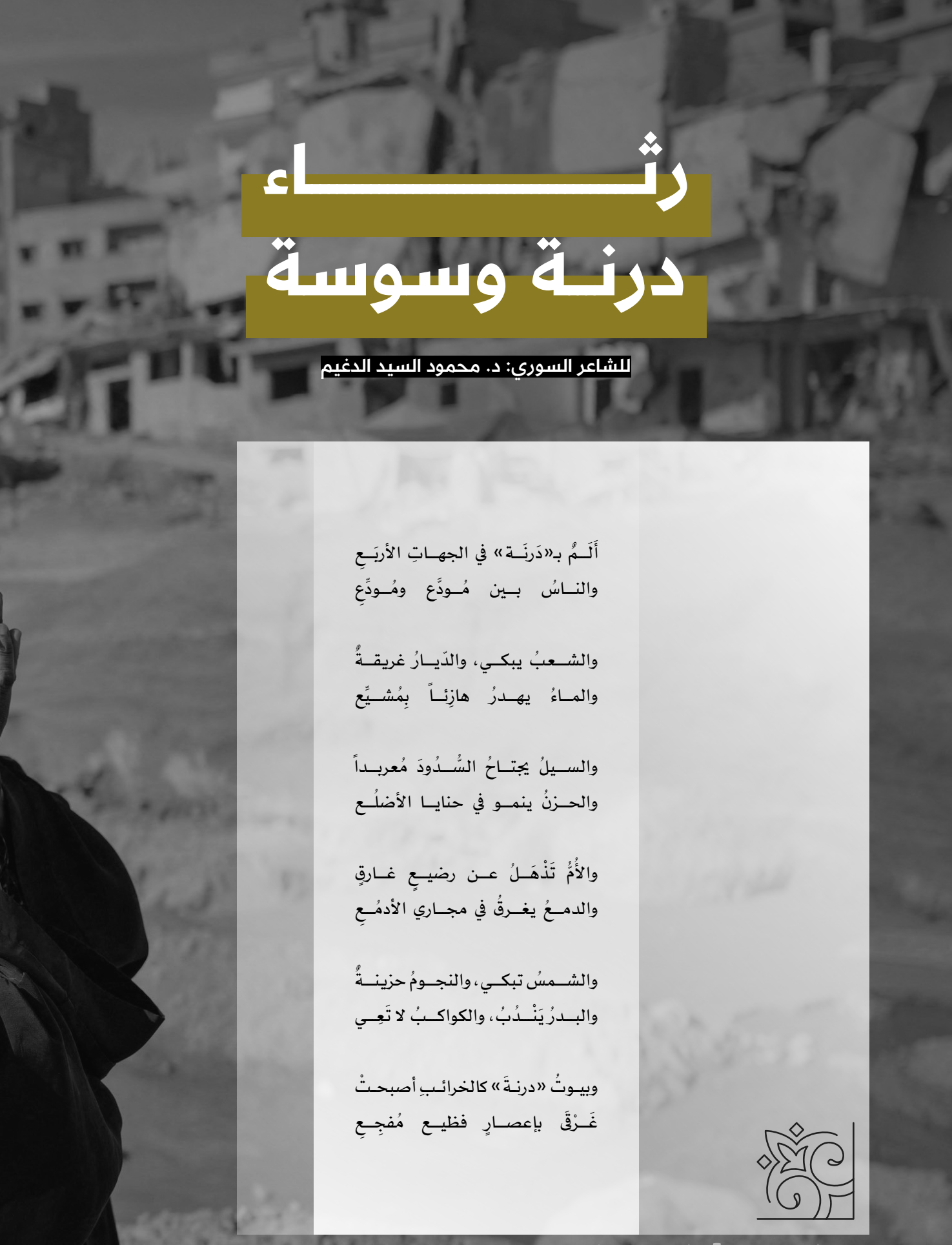

رثـــــــاء
درنـة وسوسة

للشاعر السوري: د. محمود السيد الدغيم

أَلَـمُّ بـ«دَرنَـة» في الجهـاتِ الأربَـعِ
والنـاسُ بـين مُـودَّع ومُـودِّعِ

والشـعبُ يبكـي، والدّيـارُ غريقـةٌ
والمـاءُ يهـدرُ هازِئـاً بِمُشـيِّع

والسـيلُ يجتـاحُ السُّـدُودَ مُعربـداً
والحـزنُ ينمـو في حنايـا الأضلُـع

والأُمُّ تَذْهَـلُ عـن رضيـعٍ غـارقٍ
والدمـعُ يغـرقُ في مجـاري الأدمُـعِ

والشـمسُ تبكـي، والنجـومُ حزينـةٌ
والبـدرُ يَنْـدُبُ، والكواكـبُ لا تَعِـي

وبيـوتُ «درنـةَ» كالخرائـبِ أصبحـتْ
غَـرْقَى بإعصـارٍ فظيـع مُفجِـعِ

والسـيلُ وحْـشٌ، والمصائـبُ جَمَّـةٌ
نَزَلَـتْ بِليـل اِلنائمـين الهُجَّـع

فتفـرَّقَ الأحبـابُ دُونَ جريـرةٍ
والرعـدُ يقصِـفُ كالـبُرُوقِ اللُّمَّـعِ

وكتائـبُ الطُّوفـانِ تهجـمُ كُلَّمـا
هبَّـتْ أعاصـيرُ الهـواءِ الأفظـعِ

فـكأنَّ «سُوسَـةَ» والسـواحلَ لـم تَكُـنْ
وطَنـاً بهاتيـك الديـارِ البلقـعِ

سـادتْ فبـادتْ واضمحلَّـتْ بعدَمـا
غَرِقـتْ بِسـيلٍ كالجِبـالِ الشُّـرَّعِ

وطـوى الزمـانُ رِجَالَهَـا ونِسـاءَها
وشـيُوخَها؛ طـيَّ الرَّضِيـعِ المُرْضَـعِ

وتناقلـتْ أمـواجُ بحـرٍ هـائجٍ
جُثثـاً غـدَتْ لكنَّهـا لـم ترجِـعِ

وتبـادل الأحيـاءُ ذِكـرى مـا مَـضَى
ونَعـى النُّعـاةُ الصِيـدُ أَغْلَـى مَـن نُعـي

قصيدة
«حسدوا جمالك»

للشاعر العراقي: عدنان الجزائري

عَـمَّ الأسى في كُلّ حيّ وأشـتكى
سـوقُ ٱلظـلام وجامـعُ الأصحـابِ

وسَـمِعْتُ «شـيحا» تسْـتغيثُ وأهلُها
يَطفـونَ فَـوْقَ السـيلً كٱلأخشـاب

فبَكَيْـتُ سـاحِلكِ الجميـلِ مهابَـةً
وشَـمَمْتُ عطـراً مازِجـاً بـتُرابِ

الأرضُ والأهلـونَ باتـوا دُرَّسـاً
والصّمْـتُ عَـمَّ علـى ذُرى الأعتـابِ

جُثَثـاً تُقَلّبُهـا الريـاحُ فمـا نـرى
إلّا ٱلتّوَجَـعَ والأسى برِقـابِ

نَـزَلَ البـلاءُ بـكل سـاحْ وانْمَـحى
ذِكْـرُ الأحبَّـةِ سـلْوَةُ ٱلأطيـابِ

نادَيْـتُ مـن بـين الـركام أحبّـتي
لكِـنْ، ولا صَـوْتٌ أتى بجَـواب

أيـنَ ٱلجَهابِـذُ مـن بَنيـكِ وأيْـنَ مَـنْ؟
نادَمْتُهُـمْ ، فـإذا ٱلوُجُـوهُ خَـوابي!!

بـل أيـنَ مـن باتـوا وبـاتَ أنيسُـهُمْ
تَحكـي مَعالِمُهُـم رُؤى بسَـرابِ

صـارُوا وصِـرْنَ كمـا النجـومِ تناثـرَتْ
مـا بَـيْنَ مَفقُـودْ وبـين يَبـابِ

أطفالُهـا ، فِتيانُهـا ، وشُـيُوخُها
ونِسـاؤها يَرْفُلْـنَ بالأثـوابِ

«القُبَّـةُ» الحَسْـناءُ تَنْعـى « درنـةً «
فتَفيـضُ دَمعـاً هامِـلا بسِـكابِ

وجـراحُ «درنـةَ» في القلـوب تزاحَمَـتْ
وحنينُهـا في العـين والأهـدابِ
يـا «درنـةَ» الغِيّـابِ يَرعـاكِ الـذي
بيَدَيْـهِ كُلُّ مُسَـبِّبِ الأسـبابِ

شَـكواكِ للـربّ الرحيـمِ ومـا بَـدَتْ
تلـكَ المصائـبُ تَلْتَقـي بمصـابِ

هـا قَـد أتَيْـتُ مـن العـراقِ مُواسِـيا
بَلَـداً أبيّـاً خالـصَ الأنسـابِ

مـن « بابـلِ» التاريـخ مـن رَبَواتِهـا
ومـن «الفـراتِ» و»دجلةٍ»و»ربـاب»

مـنّي ، أنـا ، هـذي القَـوافي صُغْتُهـا
مـن خافِقـي ، مـن أدمُعـي وكتـابي

مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب ينظم سلسلة من الأنشطة حول كارثة درنة

التزاما من مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب بقيمه ورسالته وواجبه نحو المجتمع، ومن مبدأ الجسد الواحد وأهمية التعاون والتآزر ومد يد العون في الأزمات والكوارث، فقد قام المركز بعدد من المبادرات بدءا من جانب جمع التبرعات وإرسال الإغاثة للمتضررين ومن فقدوا أحبتهم ومنازلهم وشردتهم مأساة الفيضانات، وتقديم الدعم المباشر لهم، وإضافة إلى ذلك فقد قدم مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب أنشطة ومحاضرات توعوية عن درنة وواجبنا نحوها، انطلاقا من دوره المحوري في المجتمع الليبي وأهمية التوعية الثقافية والاجتماعية لحث الناس على البذل وحسن التصرف في الأزمات.

وقد نظم مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب حول مدينة درنة الليبية، خلال شهر سبتمبر 2023، سلسلة من الفعاليات والمحاضرات والجلسات الحوارية تركزت حول ما ينبغي فعله تجاه الإعصار المدمر الذي ضرب المدينة والمناطق المجاورة لها في الجبل الأخضر، وكذلك الجوانب التاريخية والتعريف بالمدينة وأعلامها ومعالمها ودورها البارز كأحد أهم الحواضر الليبية.

تضمنت الفعاليات جلسات حوارية ومحاضرات وندوات، تناولت موضوعات مختلفة، منها:

- جلسة حوارية بعنوان «درنة الزاهرة، سُبل التعافي بعد المُصاب»، ناقشت سبل التعافي النفسي والاقتصادي والمجتمعي بعد الكارثة، وقد قدمها كل من الأستذة: الدكتور سامي العماري، والأستاذة عفاف الوالوال، والأستاذ فرج المجبري. وأقيمت في قاعة الشيخ نادر العمراني بالمركز.

- محاضرة بعنوان «آيات الله في زلزال المغرب وإعصار درنة»، وقدمها فضيلة الشيخ الحسن الكتاني، بتاريخ الخميس الموافق 28 سبتمبر 2023 وقد تناولت المحاضرة عددا من المحاور من أهمها: تعدد المقاصد الإلهية من البلايا واختلافها، واشتداد البلاء على الأنبياء، ومعرفة العبد مكانته عند الله بالصبر على البلايا، والمنح التي تتضمنها المحن والدروس التي يستفيدها المؤمن منها،

- جلسة حوارية بعنوان «درنة الفن والتاريخ والثقافة»، استعرضت تاريخ وثقافة المدينة والمراحل التي مرت بها عبر التاريخ وأسماء المدينة القديمة ومعالمها وأعلامها وعلمائها وشخصياتها البارزة في العلم والادب والفن والثقافة وغيرها، والدور الذي لعبته المدينة في الماضي وبصمتها الكبيرة في تاريخ ليبيا، حيث فصل الأستاذ فرج الكُندي في سرد كثير من الوقائع والتواريخ والشخصيات والتعريف بها، وأقيمت الجلسة في 25 سبتمبر 2023

- جلسة حوارية بعنوان «مدينة الصحابة المصابة»، مع فضيلة الشيخ سالم جابر والتي أقيمت في 24 سبتمبر 2023، حيث تناول فيها الشيخ ما ينبغي على المرء فعله تجاه الكارثة، من حيث العون والمساعدة، والإيمان بالقضاء والقدر، وعدم التعدي في تفسير أسباب الفيضانات، وهو ما لا يتناقض مع الأخذ بالأسباب الدنيوية، والاعتبار والاتعاظ من المصائب، وضرورة تكاثف المسلم مع إخوانه وغيرها من المحاور

- جلسة حوارية بعنوان «واجبنا نحو مصابنا الجلل»، بحضور فضيلة الشيخ حسن الشريف، حفظه الله، ناقشت الجلسة ما على المسلم من واجبات تجاه مصاب درنة وشهدائها، وأهمية الصبر والاحتساب لمن أصيب في هذه الكارثة، والإحسان والإعانة لمن قدر على تقديم الدعم لإخوانه، وقد أقيمت في تاريخ 18 سبتمبر 2023،

وغير ذلك من الفعاليات التي نظمها المركز والتي تهدف إلى نشر الوعي والحث على الصبر والعطاء والتخفيف من مصاب أهلنا في مدينة درنة والمناطق المنكوبة، ومساعدة المتضررين من الإعصار على التعافي من آثاره النفسية والاقتصادية والاجتماعية.

حظيت هذه الفعاليات والجلسات الحوارية بتفاعل من المتابعين سواء في قاعات المركز أو عبر الإنترنت، حيث شاركوا بالأسئلة والتعليقات والمداخلات التي أثرت هذه الأنشطة.

ونرجو الله أن يربط على قلوب أهلنا المتضررين ويجبر كسرهم ويرحم فقيدهم ويشفي مصابهم ويعوضهم خيرا في أرزاقهم، وسيستمر مركز الشيخ علي الغرياني في التزامه التام تجاه المجتمع ودعمه بكافة السبل الممكنة.

مَركز الشيخ
عَلي الغريَاني
للكِتَاب

خدماتنـــــــا

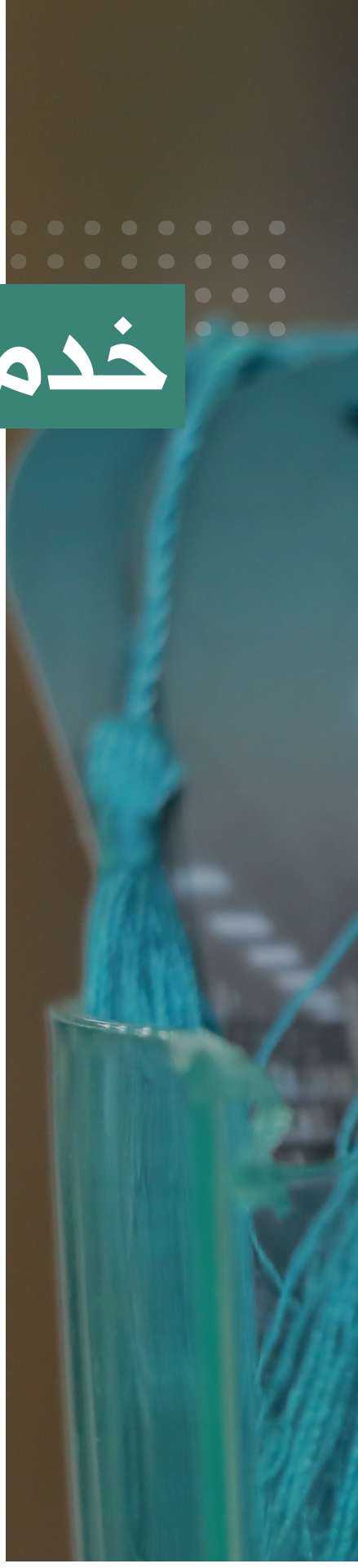

• المكتبة العامة

يوفـر مركز الشـيخ علي الغريـاني للكتـاب مكتبة عامـة تحتوي على مـا يقـرب مـن 40 ألف كتـاب في مختلـف صنـوف المعرفة والعلـوم، مصنفـة ومرتبـة ومجهزة وفـق أفضل أنظمـة تصنيف المكتبات، وتفتـح المكتبة أبوابها للزوار على مدار اليوم من السـاعة 9 صباحا وحتى 11 مسـاء، وتشـمل المكتبة أماكن مخصصة للنساء وللرجال، وإضـاءة ومقاعد مريحـة للقراءة وخدمـات إنترنت.

• قاعات التدريب المجهزة

يوفر مركـز الشـيخ علي الغريـاني للكتـاب قاعات لاسـتضافة وتقديـم التدريبـات وورش العمـل والمؤتمـرات والملتقيـات والمحاضـرات، والقاعـات مجهـزة بأفضـل الإمكانيـات مثـل السـبورات الذكية، وأجهزة العرض الحديثة، والشاشـات وأجهزة الحاسـوب، وشـبكة الإنترنت وغيرها من التجهيزات، ويمكن حجز القاعـات مجانـا لإقامة الأنشـطة عـبر التواصـل مـع إدارة المركز

• خدمات أخرى

يقـدم مركز الشـيخ علـي الغرياني للكتـاب عددا مـن الخدمات الأخـرى لتوفير بيئـة مثالية لـرواد المكتبة وطلاب العلـم والمعرفة، حيث يقدم لـزواره خدمات مجانيـة عدة مثل الطباعـة، وخدمات تصويـر المسـتندات، وشـبكة انترنـت مجانيـة، وتوفـير صحف ومجـلات يوميـة، ومقهـى، وخدمـات أخرى يسـعى مـن خلالها المركـز إلى تلبية كافـة الاحتياجـات لرواده.

مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب
Sheikh Ali Alghiryani Book Center

تاجوراء، قرب كوبري الشاحنات، بجوار مدرسة قلعة العلم

@ Shabcenter 00218 91 024 0866 info@shabcenter.ly

للتبـرع للمركــز:

حســاب الوقـــــف 080-210-102
بمصرف الجمهورية / فرع الشاحنات

حساب الصدقة العامة 030-210-2099
بمصـرف الجمهوريـــة / تاجـــــوراء